

أحكام الصيام

وآداب إسلامية

د. عبدالله شحاته

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ عدد ديسمبر ١٩٩٩ □

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

البلد	السعر	العملة
الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغـــرب	٢٠	درهما
لبنـــان	٤٥٠٠	ليرة
الأردن	٢٠٠٠	فلس
العـــراق	٧٠٠٠	فلس
الكـــويت	١,٥	دينار
السعـــودية	١٢	ريالا
الســـودان	٣٢٠٠	قرش
تـــونس	٢	دينار
الجـــزائر	١٧٥٠	سنتا
ســـوريا	١٢٥	ل. س
الحبشـــة	٦٠٠	سنت
البحـــرين	١,٢٥٠	دينار
سلطنة عمـــان	١,٢٥٠	ريال
غـــزة	٢,٥٠	دولار
ج. اليمنيـــة	٩٥٠	ريالا
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغـــال	٦٠	فرنكا
الإمـــارات	١٢	درهما
قطـــر	١٢	ريالا
انجـــلترا	٢	جك
فـــرنسا	١٠	فرنكات
المـــانيـــا	١٠	ماركات
إيطـــاليـــا	٢٠٠٠	ليرة
هـــولنـــدا	٥	فلورين
باكســـتـــان	٢٥	ليرة
ســـويســـرا	٤	فرنكات
اليـــونـــان	١٠٠	دراخمة
النمســـا	٤٠	شلنا
الدنمـــارك	١٥	كرون
الســـويد	١٥	كرون
الهنـــد	٢٥٠	روبية
كنـــدا - أمـــريكا	٣٠٠	سنت
البـــرازيـــل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٣٥٠	سنتا
لـــوس انجـــلوس	٤٠٠	سنت
اســـتراليـــا	٤٠٠	سنت

• الاشـــتراكات •

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٦٠ جنيها مصريا

• البريد الجوى •

دول اتحاد البريد العربى ٢٩ دولارا

اتحـاد البريـد الافـريقى ٣٤ دولارا

أوربـــا وأمـــريـــكـا ٣٩ دولارا

أمريكا الجنوبية واليـابان واسـتراليا

٤٩ دولارا أمــريـكيـا أو ما يعــادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترســـل القيمـــة إلى الاشـــتراكات

٣ (أ) ش الصـــحـافـة

القـاهـرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

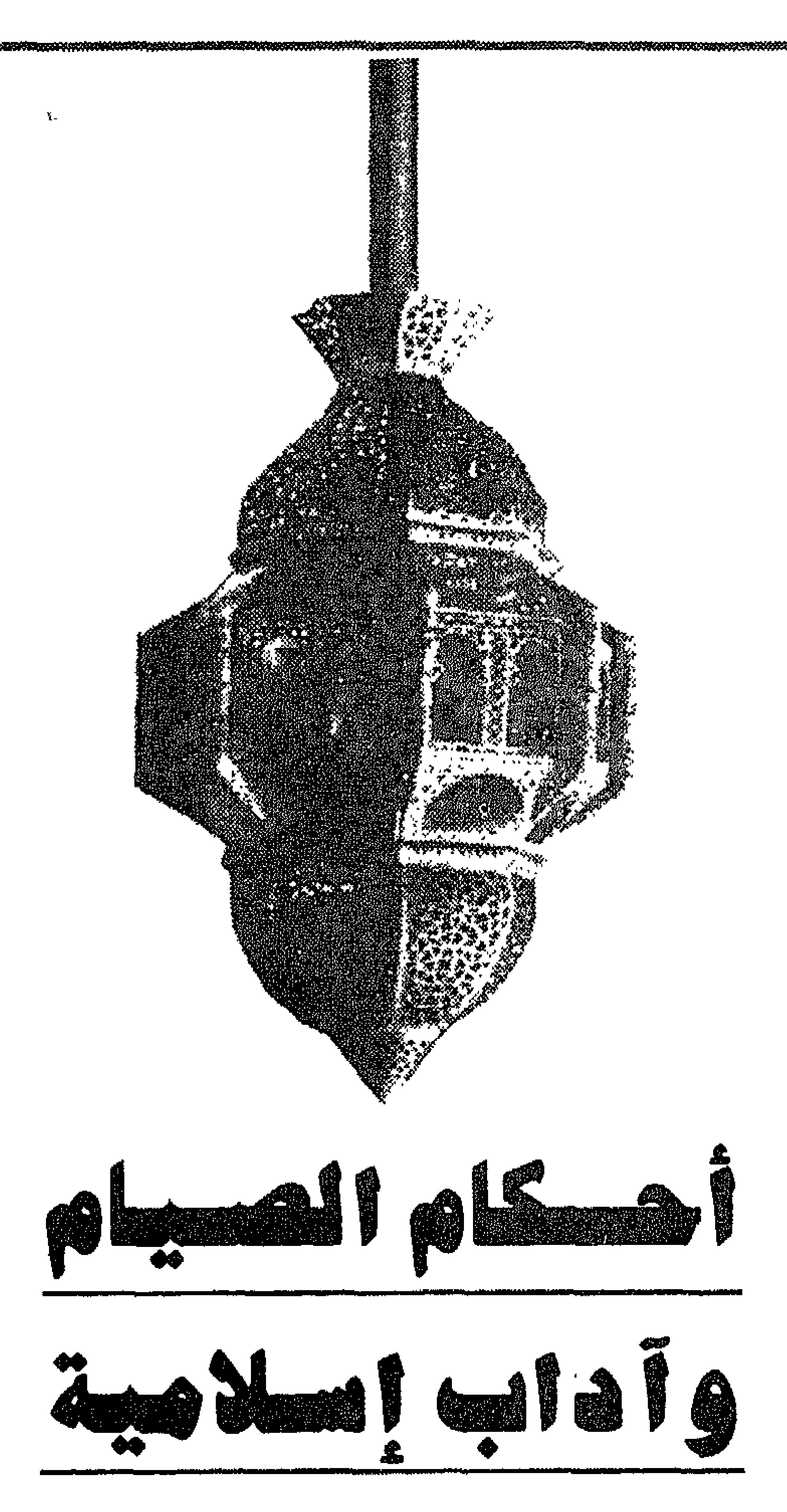
● فـاكـــس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلـكس دولى : ٣٠٣٢١٠

● تلـكس محلى : ٢٨٢

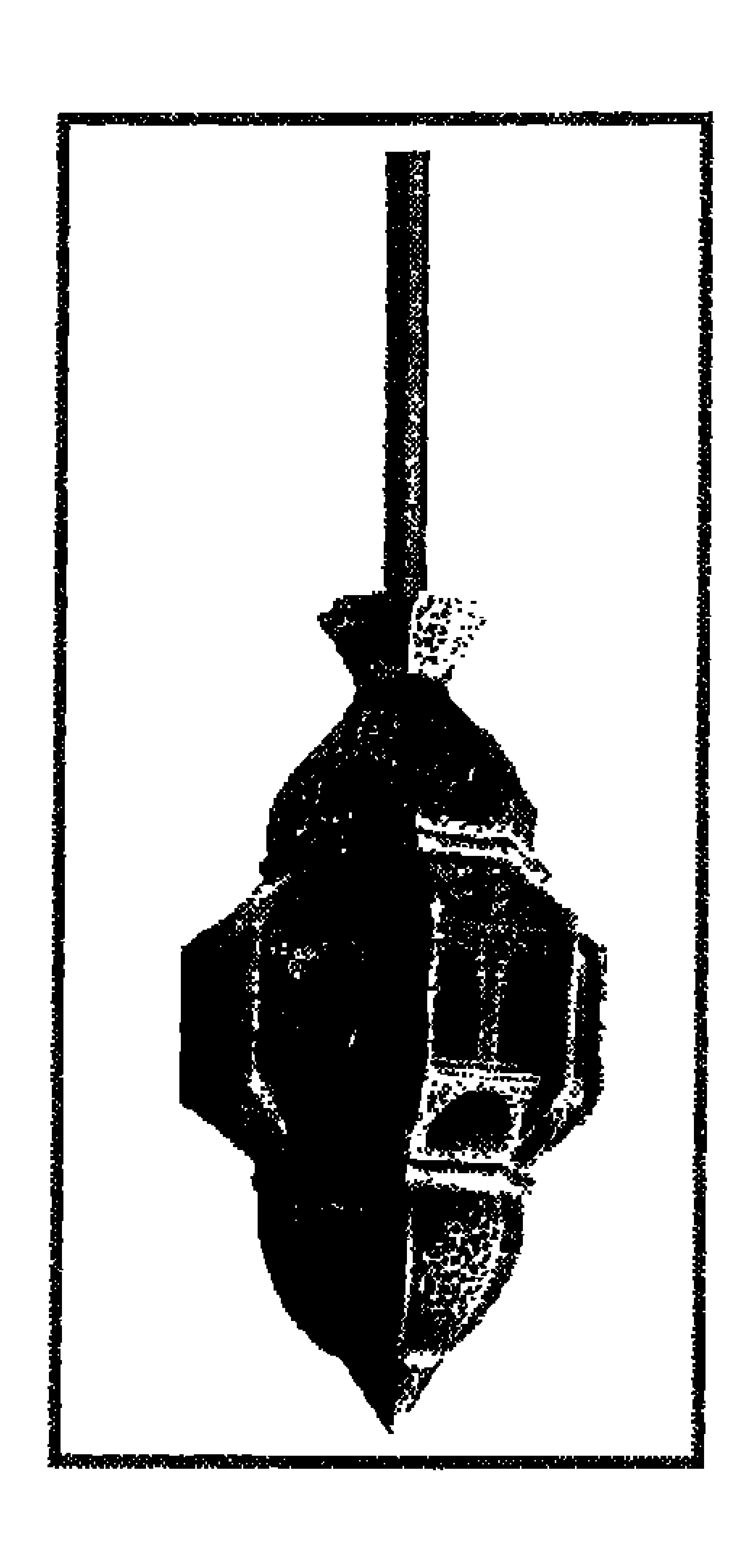
● قطـــاع الثقـافة ٦ ش الصـــحافة

● تليفـــون وفـــاكس : ٥٧٩٠٩٣٠



أحكام الصيام وآداب إسلامية

د. عبد الله شحاته





مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ؛ أما بعد ...

هذا الكتاب عن (أحكام الصيام وآداب إسلامية) يتحدث الباب الأول والثانى والثالث عن أحكام فقهية للصيام ، وعن حكمة مشروعية الصيام ؛ وعن فضل شهر رمضان ؛ وواجب المسلمين نحوه ؛ من الصيام والقيام ، وتلاوة القرآن وإخراج زكاة الفطر ؛ وتحرى ليلة القدر ؛ وعن العبادة لله وعن حكمتها ؛ وقدمت للقارىء قطوفا دانية فى الأبواب الآتية :

الباب الرابع : يتناول الآتى :

آداب إسلامية فى كلمات موجزة ؛ وهو عبارة عن موضوعات قصيرة ؛ قدمتها فى تليفزيون جمهورية مصر العربية ؛ فى برنامج حديث الروح ، ورغبت فى تسجيلها مكتوبة ؛ لينتفع بها من لم يشاهدها ؛ وليتأكد النفع بها ؛ لمن شاهدها ورغب فى استعادتها ودراستها .

والباب الخامس اشتمل على ما يأتى :

(أ) تفسير آيات من سورة الزمر .

(ب) أسئلة وأجوبة ، حول موضوعات تشتد الحاجة إليها .

والباب السادس يشتمل على ما يأتى :
(آداب السلوك بين الرجال والنساء)
أولا : الاستئذان
ثانيا : غض البصر
ثالثا : الحجاب
رابعا : تفسير آية الحجاب
خامسا : الاحتشام فى اللباس
سادسا : ستر العورة
سابعا : تعليق عام
وفى الختام أقول لك :
لقد رغبت أن أقدم لك فى شهر رمضان وجبة روحية ، مناسبة للصيام والآداب الإسلامية ؛ وروح الشريعة الإسلامية .
آمل أن يكون الكتاب وسيلة عملية ؛ تأخذ بأيدينا إلى معرفة أحكام ديننا ؛ فقها وأدبا وسلوكا ؛ وبذلك نأخذ السبيل إلى الطريق القويم ؛ والصراط المستقيم ؛ ونجد فى ذلك مرضاة ربنا ؛ وإسعاد أنفسنا ، ورعاية أسرتنا ؛ ودراسة الكتاب والسنة ؛ والفقه والآداب وأحكام التشريع .
قال تعالى:﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ [الأنعام : ١٢٥]
وقال ﷺ : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة » .
وأشكر للقائمين على دار الأخبار ، وكتاب مايو ، عنايتهم واستجابتهم السريعة بنشر هذا الكتاب ؛ مع أنه قدّم لهم قبيل شهر رمضان المبارك عام ١٤٢٠ هـ ؛ فحرصوا على طبعه ونشره

فى مدة وجيزة ؛ ليكون بين يدى القارىء فى شهر رمضان ؛ الذى أُنزل فيه القرآن هُدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ؛ وأتمنى أن يجد فيه القارى ما يفيد وينفع ؛ وأن يتقبل الله تعالى أعمالنا ، وأن يرزقنا جميعا الاخلاص والقبول ؛ والتوفيق والسداد .

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه ، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك .

اللهم لك صُمتُ ، وبك آمنتُ ، وعلى رزقك أفطرتُ ، فاغفر لى ما قدّمتُ وما أخرتُ ، وما أعلنتُ وما أسررتُ ،

﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

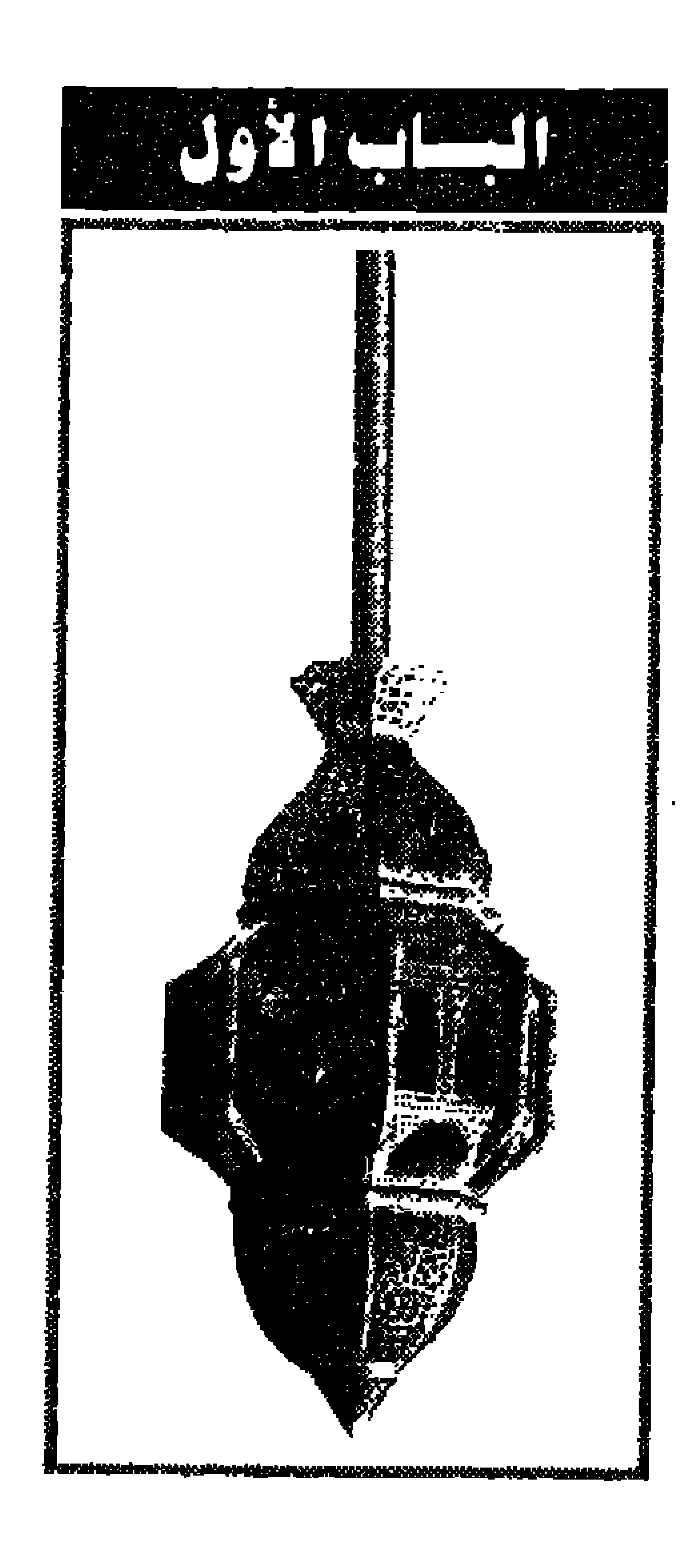
وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

د. عبد الله شحاته

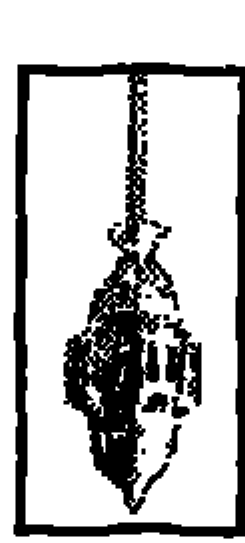
الخميس ١٩ رجب ١٤٢٠ هـ

الموافق ٢٨/ ١٠/١٩٩٩ م

الباب الأول



الصيام



الصيام فى اللغة الإمساك والكف عن الشىء ..

وفى اصطلاح علماء الشرع : الإمساك عن الأكل والشرب والاتصال الجنسى من الفجر إلى الغروب ابتغاء مرضاة الله .

عبادة قديمة :

الصوم عبادة قديمة جاءت بها الأديان السابقة فكانت ركنا هاما من أركان كل دين فأناجيل النصارى تذكر الصوم وتمدحه وتعتبره عبادة كبرى ، وقد صام عيسى عليه السلام والحواريون.

والتوراة تفرض الصوم بعض الأيام ، ومنها يوم عاشوراء ، وقد صام موسى عليه السلام أربعين يوما .

بل إن الوثنيين يعرفون الصوم ، فقد كان المصريون فى أيام وثنيتهم يصومون وانتقل منهم الصوم إلى اليونان والرومان ولا يزال الوثنيون فى الهند يصومون إلى الآن ، ويكاد الصوم أن يكون أمرا فطريا يلجأ إليه كل كائن حى فترة أو فترات من الزمان ، حتى أننا نجد بعض الحيوانات كالجمال مثلا تصوم ، فالصوم إذن فطرة مألوفة وعبادة معروفة ، ولذلك يخاطب الله المؤمنين فى القرآن بقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم**

الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾
[البقرة : ١٨٣]

صيام رمضان :

صوم رمضان ركن من أركان الإسلام وفريضة من فرائض الدين وشعار من شعائره قال تعالى : **﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾** .

وقد ثبتت فرضية الصيام بالكتاب والسنة والاجماع .

أما الكتاب فقول الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .. أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون .. شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾** [البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٥]

وأما السنة : فقول النبى ﷺ : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا» .

وفى حديث طلحة بن عبيد الله : « أن رجلا سأل النبى ﷺ فقال يا رسول الله : أخبرنى عما فرضه الله علىّ من الصيام . قال : شهر رمضان . قال : هل على غيره ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ».

وأجمعت الأمة على وجوب صيام رمضان . وأنه أحد أركان الإسلام ، التى علمت من الدين بالضرورة ، وأن منكره كافر مرتد عن الإسلام .

وكانت فرضيته يوم الاثنين ، لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة[1] .

استقبال رمضان :

من آداب الدين أن يستقبل المسلم رمضان بالتوبة النصوح ، والاستعداد للصوم ، والعبادة وقراءة القرآن ، وإكثار الصدقة حسب حالته ، وأن يمسك عن الغيبة والنميمة ، وعن النظر إلى ما حرم الله ، فإن الصوم مدرسة يتعلم فيها الصائم ، مراقبة الله واخلاص النية ، والعمل له ، والصبر والمصابرة ، وصدق الإيمان ، ومضاء العزيمة فهو مدرسة الثلاثين يوما .

كل يوم يستقبل الإنسان نهاره صائما قد ترك الطعام والشراب والشهوة الجنسية وقد ألزم نفسه بغض بصره وحفظ جوارحه ومراقبة ربه . فإن شاتمه أو خاصمه أحد قال إنى صائم إنى صائم ، أى إنى فى نفسى وروحانيتى ولست فى حيوانيتى .

إذا أذن الفجر الله أكبر ترك المسلم الطعام والشراب والشاى والقهوة والدخان وكل المطعومات والمشروبات .. لقد استجاب لنداء الله . الله أكبر ..

الله أكبر من هوى النفس ومن مطالب الجسد ومن رغبات الجسم .

الله أكبر من الهوى ومن كل المغريات.

(١) السيد سابق : فقه السنة ٣/١٩٧ .

الله أكبر من أجله يصوم الإنسان سحابة نهاره ، لا أكل ولا شرب ولا دخان ، ولا أى شىء يدخل جوفه فهو أشبه بالملائكة . وقد ورد فى الأثر أن الله يباهى ملائكته بالشاب الصائم يقول الله أيها العبد الصائم التارك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى أنت عندى كبعض ملائكتى .

فضل رمضان :

يكفى هذا الشهر فضلا أنه شهر نزول القرآن وأن فيه ليلة القدر ، وقد جعل الله العبادة فيها خيرا من العبادة فى ألف شهر ..

وفيه غزوة بدر الكبرى وهى أول معركة انتصر فيها المؤمنون وقال فيها القرآن : **﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير ﴾** [الأنفال : ٤٢]

وفيه فتح مكة وهى أم القرى ، وفيه العشر الأواخر من رمضان وكان النبى ﷺ يواظب على إحيائها وقيام ليلها ويكثر من العبادة فيها . قالت عائشة : كان النبى إذا أقبلت العشر الأواخر من رمضان طوى فراشه[١] وأحيا ليله[٢] وأيقظ أهله[٣] .

ومن خصائص هذا الشهر مضاعفة الثواب للمؤمنين ، ومضاعفة العقاب على من استهتر بأحكامه واعتدى على حرمته وجاهر بمعصية الله فيه .

روى الإمام أحمد وأصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

(١) كناية عن قلة النوم .
(٢) بالعبادة وقراءة القرآن .
(٣) ليشتركوا معه فى الصلاة والعبادة .

وعن سلمان رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال : « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله تعالى صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة»(١) .

وروى الامام أحمد والنسائى بسند جيد أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة(٢) وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين(٣) ونادى مناد من قبل الله تعالى يا باغى الخير أبشر ويا باغى الشر أقصر » .

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال :

« الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر .

تحريم الفطر فى رمضان :

لرمضان حرمة واجبة ولا ينبغى أن ينتهك الإنسان حرمة هذا الشهر بالافطار ، فإن فيه معصية لله وانتهاكا لحرمات الإسلام وخروجا على آداب الدين والشرع .

قال ﷺ : « من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض

(١) رواه ابن خزيمة والبيهقى وابو الشيخ وابن حبان.

(٢) كناية عن مضاعفة الثواب للصائمين ؛ تقول فتح المجد أبوابه لفلان .

(٣) دليل على أن الشيطان قد أفلس فى رمضان لأن المؤمن يصوم النهار ويصلى بالليل وقد سد على الشيطان طرقه بالجوع والبعد عن الشهوة والحرام فأصبح الشيطان حبيسا مقيدا ؛ أو أن الله يضعف سلطانه ويخذله فى رمضان .

لم يقضه صوم الدهر وأن صامه »[1] .

إن هذا الشاب الذى متعه الله بالصحة والعافية والشباب والقوة ثم جاهر بالمعصية وانتهاك حرمة هذا الشهر يؤتى به يوم القيامة باكيا حزينا والملائكة تسوقه بمقامع من حديد من نار وهو ينادى الأمان الأمان ولا أمان ، لأنه أدرك رمضان فعصى الله تعالى فيه ولم يتب ولم يستغفر الله تعالى كى يغفر له[2] .

رؤية الهلال :

يسن أن يلتمس الناس رؤية الهلال فى آخر شعبان ، فإذا رأوا الهلال صاموا وإلا أكملوا شعبان ثلاثين يوما ، وكان النبىﷺ يقبل شهادة أى رجل من المسلمين بأنه رأى الهلال فيصوم ويأمر المسلمين بالصوم.

والآن وقد وجدت المراصد الفلكية فقد أصبح الاعتماد عليها فى الرؤية واجبا ويضم إلى رؤية الهلال ما يثبته الفلك بالعد والحساب حتى يعاضد كل منهما الآخر .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى الهلال يقول : اللهم أهله علينا بالأمن والأمان والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله هلال رشد وخير آمنت بالذى خلقك ، يقول ذلك ثلاث مرات[3] ، وفى الحديث الشريف « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته وأنسكوا لها فإن غم عليكم فأتموا ثلاثين » .

وإذا رئى الهلال فى قطر من الأقطار صام أهله وحدهم ، فقد كانت الصحابة رضى الله عنهم لا يأمرون أهل بلد بعيد بالصوم ، لرؤية أهل بلد آخر كالمدينة والشام ومصر والمغرب ونحو ذلك ، وكانوا لا يرون بأسا بتقدم أهل بلد بيوم على أهل بلد آخر[4] قال

(١) رواه البخارى وأبو داود وابن ماجة والترمذى : فقه السنة ٣/١٩٩ .
(٢) غالية المواعظ : ١/٨ .
(٣) عبدالوهاب الشعرانى منح المنة فى التلبس بالسنة : ١١٦ .
(٤) المرجع السابق ١١٧ نيل الأوطار ٤/٧١ .

كريب مولى ابن عباس رضى الله عنه : « بعثتنى أم الفضل بنت الحارث إلى معاوية بالشام فقدمت الشام فاستهل رمضان ورأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر فسألنى ابن عباس متى رأيتم الهلال فقلت رأيته مع الناس ليلة الجمعة وصاموا وصام معاوية ، قال لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصومه حتى نكمل الثلاثين أو نراه فقلت أفلا نكتفى برؤية معاوية وصيامه قال لا ، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ »[1] .

ويدل هذا النص على أنه يعتبر لأهل كل قطر هلالهم ، قال الشوكانى : قد تمسك بحديث كريب هذا من قال إنه لا يلزم أهل بلد رؤية أهل بلد غيرها[2] .

والخلاصة :

إن من الفقهاء من قال بوجوب الصوم على كافة الأمة الإسلامية فى جميع الأقطار متى ثبتت رؤية الهلا فى بلد من البلدان الإسلامية من غير فرق بين القريب والبعيد ولا عبرة باختلاف المطالع[3].

ومن الفقهاء من اتبع النصوص الواردة ورأى أن المطالع تختلف باختلاف الأقاليم وبعد المسافات كما يختلف الليل والنهار ، وكثيرا ما يقابل الظهر فى قطر وقت العصر فى قطر آخر . فكما أننا لا نقبل الصلاة بأذان البلاد البعيدة الذى يصلنا عن طريق المذياع فكذلك ميقات الصوم يجب أن تراعى فيه المطالع الخاصة بكل قطر من الأقطار[4] .

(١) نيل الأوطار ٤/٧١ . (٢) نيل الأوطا ر ٤/٧٨ .

(٣) ذهب إلى هذا الرأى الحنفية والمالكية والحنابلة .

(٤) ذهب إلى هذا الرأى الشافعية والأمامية وقالا : إذا تقارب البلدان فى المطع كان حكمهما واحدا وأن اختلفا فلكل حكمه الخاص به . وانظر الدين الخالص ٢٦٣/٨ لترى إلى اى حد يمكن أن يؤخذ بآراء الفلكيين فى تحديد أول رمضان .

الهلال وعلم الفلك

فى سنة ١٣٨٨ هـ الموافقة لسنة ١٩٦٨م تعرض الناس فى مصر لمفاجآت غير متوقعة فقد أذاعت دار الافتاء فى ليلة ٣٠ شعبان سنة ١٣٨٨ هـ أن الهلال لم ير فى مصر ، وعلى ذلك فإن اليوم القادم سيكون المكمل لشهر شعبان . واستعد الناس لذلك وفى حوالى الساعة ١١ مساء أذيع أن الهلال رئى فى بلد إسلامى آخر وأن غدا هو أول رمضان .

وقد ضج الناس من هذا الاضطراب ، ونادى فريق منهم بأن يكون الاعتماد فى ثبوت الهلال على أقوال الفلكيين دفعا للاضطراب ، فقد يفاجئهم يوم العيد بدون استعداد وقد يستعدون للعيد ثم يأتى متأخرا[1] .

ونشرت الصحف مقالات تدعو إلى الاعتماد على أقوال الفلكيين واستشهدوا بأن الآية : ١٦ من سورة النحل تؤيد رأيهم وهى قوله تعالى : ﴿ **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** ﴾ .

وقال آخرون أن الاعتماد على قول الفلكيين يتنافى مع الحديث الشريف « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » . حيث إن المفهوم من الرؤية هى الرؤية البصرية التى ألفها الناس فى عهد الرسول ﷺ أما الرؤية بالمكبر والتعويل على الحساب والمنازل فبعيدة عن لفظ الحديث .

والحقيقة أن كلا من الطرفين لم يأت بالحجة أما الاهتداء بالنجم فالمراد به معرفة الطرق ومسالك البلاد لا معرفة الأيام والأهلة . وأما حديث الرؤية فإنه لا يتنافى مع العلم السليم ، لأن

(١) فى سنة ١٩٣٩م كان عيد الأضحى فى مصر يوم الاثنين وفى السعودية يوم الثلاثاء، وفى بومباى بالهند يوم الأربعاء .

الرؤية وسيلة العلم ، وليست غاية فى ذاتها كما هى الحال فى جميع الطرق الموصلة إلى الواقع .

ولكنا نقول : إن أقوال الفلكيين لا تفيد العلم القاطع لكل شبهة ، كما تفيده الرؤية البصرية لأن كلامهم مبنى على التقريب لا على التحقيق بدليل اختلافهم وتضارب أقوالهم فى الليلة التى يولد فيها الهلال ، وفى ساعة ميلاده وفى مدة بقائه .

ومتى جاء الزمن الذى يتوافر فيه لعلماء الفلك المعرفة الدقيقة الكافية الوافية ، بحيث تتفق كلمتهم ويتكرر صدقهم المرة تلو المرة ، يمكن ـ والحال هذه ـ الاعتماد على قولهم بأن رؤية الهلال ممكنة حسب المعتاد وعلى من يحصل له العلم أن يعمل بعلمه .

فى بلاد الشرق الأقصى :

فى أندونيسيا والملايو والفلبين ينتشر مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه . ومن مذهب الشافعى : أن الهلال إذا رئى فى بلد ولم ير فى بلد آخر فلكل بلد حكمه الخاص به ، فمن رأى هلال رمضان يصوم ، ومن لم يره لا يصوم .

وفى سنة ١٩٦٠م زرت الفلبين خلال شهر رمضان وتجولت فى معظم بلاده وهى جزر متفرقة تعد بالآلاف وكنت أتنقل بالطائرة بين جزيرة وجزيرة لبعد المسافة بينهما ورأيت عجبا :

بداية رمضان غير متفق عليها بين محافظة وأخرى وربما كان هناك فارق يصل إلى يومين أو ثلاثة ، لأن كل محافظة تعتمد على الرؤية المجردة بالعين البصرية وهكذا يختلف عيد الفطر فى كل محافظة عن الأخرى .

والمسلمون هناك يتجمعون فى ثلاث محافظات هى :

١ – هلو صولو .
٢ – كتاباتو .
٣ – ميندانو .

وكان هذا التفرق فى الصيام يؤدى إلى فرقة أخرى ، واتفقنا فى سنة ١٩٦٠ ، مع زعيم المسلمين هناك أن يرتبط الناس هناك برؤية الهلال فى مصر حيث يوجد بها تلسكوب ويوجد بها الأزهر .

وفى سنة ١٩٦١ كان الاتفاق مع شيخ الأزهر فى مصر أن يرسل لهم برقية عند رؤية الهلال : « صوموا غدا » .

ولما عدت للفلبين فى شهر رمضان سنة ١٩٦١ وجدت أن البرقية لم تصل إلا فى اليوم الثانى من شهر رمضان .

وقلت لهم لماذا لا تعتمدون على المذياع فى بداية الصوم وكان الجواب أن تغلغل مذهب الشافعى هناك ، والاعتماد على الرؤية بالعين فى ثبوت الهلال تمنع من ذلك .

ولكن كلمة شيخ الأزهر تعتبر أمرا من خليفة مطاع . وأن عواطف المسلمين هناك تتعلق بمصروترى فيها قلعة الإسلام ، كما رأيت تعلقهم الشديد بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر عليه رحمة الله .

خاتمة :

لقد ورد الحديث الشريف بالاعتماد على رؤية الهلال فى وقت كان الاعتماد فيه على الرؤية وحدها . أما الآن وقد عرف الحساب وتقدم الفلك وانتشرت الإذاعات ، فيمكن للمسلمين أن يعتمدوا على المراصد والحساب ويختاروا بلدا وسطا مثل مكة أو القاهرة ، فإذا رئى الهلال فى واحد منهما صام جميع المسلمين بصيام

أهله . ويؤيد ذلك قوله ﷺ : « نحن أمة أمية لا تعرف الحساب صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم الهلال فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

وإذا كان الحكم يدور مع علته وجودا وعدما ، فإن الاعتماد على الرّؤية سببه الأمية وعدم معرفة الحساب ، فإذا أصبحت الأمة ذات معرفة بالكتابة والتعليم والحساب والفلك فلا يمنع مانع من اتفاق علمائها مع الاعتماد على الحساب ، وعلى مطلع بلد متوسط من البلاد الإسلامية مثل القاهرة أو مكة .

فالقاهرة قلب العالم الإسلامى . ومكة موطن الوحى ومكان ميلاد النبى وفيها المسجد الحرام والكعبة حيث يتجه المسلمون فى الصلاة .

فإذا كانت قبلتهم موحدة فإن المصلحة العامة للمسلمين أن يتوحدوا فى صيامهم وفطرهم .

ويكفى أن نعلم أن المالكية والحنفية والحنابلة يرون صيام الأمة الإسلامية كلها إذا رئى الهلال فى بلد منها .

وأن الشافعية والامامية يرون أن الهلال إذا رئى فى بلد ولم ير فى الآخر فإن تقارب البلدان فى المطلع كان حكمهما واحدا وإن اختلف المطلع فلكل بلد حكمه الخاص .

ونقول : إن الفرق بين البلاد الإسلامية فى الزمن لا يزيد على ست ساعات ، واليوم ٢٤ ساعة .

والفرق بين الجزائر والفلبين فى الوقت وهما طرفا البلاد الإسلامية لا يزيد على ست ساعات أى ربع يوم ، وما قارب الشيء يعطى حكمه فليس بين البلاد الإسلامية فرق يوم كامل . ويمكن إذا رئى الهلال فى الجزائر أن تصوم الفلبين تبعا لصيام

الجزائر ، ومن باب أولى إذا كان اعتمادنا على بلد فى وسط العالم العربى حيث مركز الثقل الإسلامى أو على مكة حيث كانت بداية الوحى ، والله أعلم بالصواب .

أركان الصيام :

للصيام ركنان تتركب منهما حقيقته وهما :

١ - الإمساك عن المفطرات ، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، قال تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾ .

والمراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود ، بياض النهار وسواد الليل .

لما رواه البخارى ومسلم أن عدى بن حاتم قال : لما نزلت ﴿**حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود** ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض ، فجعلتهما تحت وسادتى فجعلت أنظر فى الليل ، فلا يستبين لى ، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » .

٢ - النية : فلا يصح أداء الصوم إلا بها تمييزا للعبادات عن العادات ، لما رواه البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » .

ولابد أن تكون قبل الفجر ، من كل ليلة من ليالى شهر رمضان لحديث حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ « من لم يجمع[١] الصيام قبل الفجر فلا صيام له » رواه أحمد وأصحاب السنن ،

(١) يجمع من الاجماع وهو إحكام النية والعزيمة .

وصححه ابن خزيمة وابن حبان وتصح فى أى جزء من أجزاء الليل ولا يشترط التلفظ بها فإنها عمل قلبى لا دخل للسان فيه فإن حقيقتها القصد إلى الفعل امتثالا لأمر الله تعالى وطلبا لوجهه الكريم .

فمن تسحر بالليل ، قاصدا الصيام ، تقربا إلى الله بهذا الإمساك فهو ناو .

ومن عزم على الصيام بقلبه فهو ناو كذلك وإن لم يتسحر ويكفى شعور المؤمن أنه فى رمضان وأنه عازم على الصيام بقلبه ، لكن الأفضل أن يتلفظ بالنية جمعا بين عمل القلب وفعل اللسان فيقول : نويت صيام غد من شهر رمضان إيمانا واحتسابا لوجه الله تعالى . أو أى كلام يفيد نية الصيام .

ويشترط لكل يوم من رمضان نية على حدة عند أكثر العلماء ، لأن كل يوم عبادة على حدة .

وقال مالك : يجوز صيام جميع الشهر بنية واحدة لأن الواجب صوم الشهر وهو اسم لزمان واحد فكان صومه من أوله إلى آخره عبادة متصلة فيتأدى بنية واحدة .

وأرى أن نأخذ بالأحوط فننوى صيام الشهر كله فى أوله قائلين : نويت صيام شهر رمضان إيمانا واحتسابا لوجه الله تعالى .

ثم نجدد النية كل ليلة طلبا للثواب فإن نسينا التلفظ بالنية كان السحور أو شرب الماء قبل الفجر أو الاستعداد للصيام بالقلب كافيا ، فالنية محلها القلب . وفى صحيح البخارى : ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب .

وفى الحديث القدسى : « ما وسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » .

أى أن المؤمن هو الذى يدرك جلال الله وعظمته حين يقوم بالليل والناس نيام وحين يعبد الله أو يتهجد أو يغير مواعيد الطعام أو يتحمل مشقة الصيام كل ذلك مرضاة لله .

روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها » .

يقول الله عز وجل : « أيها العبد الصائم التارك طعامه وشرابه من أجلى أنت عندى كبعض ملائكتى » .

الأعذار المبيحة للفطر :

يجب الصيام على المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم ، ويباح الفطر للأسباب الآتية :

١ - المرض :

وهو الذى يخاف الصائم ازدياده ، أو تأخر البرء منه ويعرف ذلك إما باجتهاد المريض بأن يعلم من نفسه أن الصوم يؤثر على مرضه أو بقول طبيب مسلم حاذق غير ظاهر الفسق ، فإن صام مع المرض جاز وإن غلب على ظنه الهلاك أو تعطيل حاسة من حواسه فيتعين عليه أن يفطر ولا يصح منه الصوم .

فالضرر محرم ، وفى الحديث : « لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » .

٢ - السفر :

والسفر الذى تقصر معه الصلاة هو سفر ثلاثة أيام فصاعدا عند الحنفية وقال الشافعى سفر يوم وليلة ، وقيل كل ما يطلق

عليه اسم سفر عملا بقوله تعالى : ﴿ **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾ . فإنه مطلق عن التقيد بوقت ولكن المعقول أن المسافر إنما رخص له الفطر لمعنى المشقة إذا صام ولما كانت المشقة لا توجد فى كل سفر وجب أن يجوز الفطر فى سفر فيه مشقة ، فالشريعة معقولة المعنى .

والأصل أن الصوم عزيمة وأن الإفطار رخصة للمسافر فالمسافر الذى تمت له جميع الشروط بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر ، هذا مع العلم بأن الحنفية خاصة قالوا : قصر الصلاة فى السفر عزيمة لا رخصة ، والعزيمة ما شرعت أولا ، والرخصة ما شرعت ثانيا .

٣ - الإرضاع والحمل :

فالحامل أو المرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما الهلاك والضياع شرع لهما الفطر خصوصا الحامل المقرب التى أوشكت على الولادة ، والمرضع التى يتضرر وليدها بالصوم قال ﷺ : « إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع الصيام »[١] رواه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجة ، فإن أفطرت فعليها القضاء بالاتفاق عند الأربعة .. واختلفوا فى أمر الفدية (الكفارة الصغرى) فقال الحنفية لا تجب مطلقا ، وقال المالكية تجب على المرضع دون الحامل . وقال الحنابلة والشافعية : تجب الفدية على كل من الحامل والمرضع إن خافت على ولدها فقط ، أما لو خافت على نفسها وعلى ولدها معا فإنها تقضى ولا تفدى ، والفدية عن كل يوم مد ، والمد طعام مسكين[٢] .

---

(١) فقه السنة : ٢١١/٣ .

(٢) ويقدر بنحو ٨٠٠ جرام قمح أو نحوه .

وذهب ابن عباس وابن عمر إلى أن الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو أولادهما أفطرتا وعليهما الفدية ولا قضاء عليهما.

روى أبو داود عن عكرمة أن ابن عباس قال - فى قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية ﴾ . الحبلى والمرضع إذا خافتا أفطرتا وأطعمتا ، رواه البزار . وزاد فى آخره : وكان ابن عباس يقول لأم ولد له حبلى : « أنت بمنزلة الذى لا يطيقه ، فعليك الفداء ولا قضاء عليك » . وصحح الدارقطنى إسناده .

وعن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها فقال تفطر ، وتطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من حنطة رواه مالك والبيهقى .

ولكن اتفاق الأئمة الأربعة على أن الحامل والمرضع عليهما القضاء إذا أفطرتا ، ومالك مع روايته لهذا الحديث يخالفه . فهذا أوضح دليل على أن اجتهاد ابن عباس وابن عمر كان ترخصا منهما لم يوافقهما عليه الأئمة .

٤ - كبر السن :

فالشيخ الكبير والمرأة العجوز لهما أن يفطرا فى رمضان إذا كانا لا يقدران على الصوم أو كانا يقدران مع الحرج والمشقة فيرخص لهما بالإفطار مع الفدية عن كل يوم طعام مسكين ، وكذلك المريض الذى لا يرجى برؤه فى جميع أيام السنة يفطر ويفدى .

٤ - الجوع والعطش الشديدان :

وقد اتفقوا جميعا على أن من به داء العطش الشديد يجوز له أن يفطر ، وإذا استطاع القضاء فيما بعد وجب عليه القضاء دون الكفارة عند الأربعة .

وكذلك الجوع الشديد الذى لا يقدر الصائم معه على الاستمرار فى الصيام ويتعرض للهلاك إذا استمر صائما فيباح له الفطر وعليه القضاء .. وقال الامامية لا يباح الفطر إلا إذا استلزم المرض.

٦ - **الغزو والقتال :**

فالغازى والمقاتل إذا كان يعلم يقينا أو بغلبة الظن أنه سيقاتل ، وذلك على خط المواجهة مع العدو ، وكذلك إذا كان يخاف الضعف عند القتال إذا صام فله أن يفطر .

وحينما تقدم النبى إلى فتح مكة قال لأصحابه : « إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم ، فمنهم من صام ومنهم من أفطر فلما اقتربوا من مكة قال النبى لهم إنكم مصبحو عدوكم ، والفطر أقوى لكم فأفطروا ، فكانت عزمة ، فأفطروا » . رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

٧ - **الحيض والنفاس :**

فالحائض والنفساء عليهما الفطر حتى إن صامتا كان صومهما حراما وباطلا .

زوال العــــذر

إذا زال العذر المبيح للإفطار ، كما لو برىء المريض أو بلغ الصبى أو قدم المسافر أو طهرت الحائض ، استحب الإمساك تأدبا عند الشافعية ، ووجب عند الحنفية والحنابلة وقال المالكية لا يجب ولا يستحب .

صوم الصبى

صوم رمضان واجب عينا على كل مكلف والمكلف هو البالغ العاقل ، فلا يجب على المجنون حال جنونه ولا يصح منه لو صام لأن مدار التكليف على العقل وإذا سلب ما وهب اسقط ما كلف ،

قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾ .

أما الصبى فلا يجب عليه الصوم ، ولكن يصح صومه لو صام بل يسن للأب أن يعود ابنه على الصيام عند قدرته عليه وقد كان رسول الله ﷺ يأمر الصبيان بالصوم حين يطيقون الصوم سواء الفرض والنفل . وكان عمر رضى الله عنه يضرب من يراه يأكل من الصبيان الذين قاربوا البلوغ ، وكان من هدى رسول الله ﷺ أنه إذا بلغ أحد الصبيان فى أثناء الشهر أو أسلم أحد من الرجال فيه لا يأمره بإعادة ما مضى من الشهر ، بل يأمره بإتمام ذلك اليوم الذى بلغ فيه أو أسلم فيه وأن يقضى يوما آخر عنه .

آداب الصيام :

للصيام آداب تحقق أهدافه وتجعله أهلا للقبول وهى :

١ - تعجيل الفطر وتأخير السحور : فإن ذلك من أخلاق الأنبياء ومن هدى الرسول ، ولأنه يخفف حدة الصوم ويقوى على احتماله .. وفيه مبادرة إلى امتثال أمر الله عند أذان المغرب ، وهذا فى تعجيل الفطر ، كما أن تأخير السحور إلى ما قبل الفجر يساعد المؤمن على صلاة الفجر ويجعله يشارك المتعبدين فى الهزيع الأخير من الليل بالدعاء والاستغفار ، أخرج البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فينادى يا عبادى : هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مسترزق فأرزقه ، حتى يطلع الفجر » .

٢ - أن يفطر على تمر أو على شىء حلو فإن لم يجد فعلى الماء فإنه طهور .

٣ - أن يتخير مطعمه من الحلال حتى يكون صومه مقبولا قال

تعالى: ﴿ **كلوا من الطيبات واعملوا صالحا** ﴾ [المؤمنون : ٥١] .

٤ – ألا يستكثر من الطعام عند الافطار فإن فى ذلك إضرارا بالمعدة « لا ضرر ولا ضرار » .

٥ – أن يحافظ على صلاة التراويح فهى قيام رمضان وهى إحياء لهذا الشهر .

وفى الحديث : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

٦ – أن يكثر من قراءة القرآن ودراسته وتلاوته وتفهم معانيه ، فإن رمضان شهر القرآن : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾ .

٧ – أن يكثر من الصدقة والعطف على الفقراء والمساكين حسب استطاعته فإن الصوم يذكره بجوع الفقير وحاجته . وفى الحديث الشريف كان ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل .

٨ – أن يحفظ لسانه عن الغيبة والنميمة والسباب والخصام فإن خاصمه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم إنى صائم . وذهب بعضهم إلى أن الغيبة تفطر الصائم أى تذهب ثوابه وتضيع حسناته لقوله تعالى: ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم** ﴾ .

٩ – أن يحفظ عينيه عن الاتساع فى النظر إلى ما حرم الله .

قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ .

وفى الحديث القدسى : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها خوفا منى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه » .

فالنظر بريد الزنا « والعينان تزنيـان وزناهما النظر » . والصائم فى عبادة وقربة فأجدر به أن يحافظ على عبادته وأن يترسم مرضاة ربه وأن يحفظ عينيه وقلبه من السوء ، كما قال القائل :

كـــل الحــوادث مبـــداها من النظـر
ومعظم النـــار من مستـصغـر الشرر

والمـــرء مـــا دام ذا عـين يقلبـهــا
فى أعـــين العـــين مـوقـف عن الخطر

كم نظــرة فعلت فى قلـــب صــاحبها
فعـــل الســهام بلا قـــوس ولا وتـــر

يســـر ناظـــره مـــاضـــر خـــاطره
لا مرحبـــا بســـرور جـــاء بالضـــرر

إن الرجولة الحقة تتمثل فى الإنسانية المهذبة التى تهتم بعظائم الأمور ، وتعف عن سفاسفها . وما أبدع قول المتنبى :

وغـــير فـــؤادى للغـــوانى رميـــة
وغـــيـــر بنـــاتى للزجـــاج ركـــاب

وللســـر مـــنى مـــوضع لا ينــاله
صـــديق ولا يفضى إليــــه شــــراب

وللخـــود مـــنى ســـاعة ثم بيننـــا
فـــلاة إلـــى غـــيــــر اللقـــاء تجـــاب

ومـــا العـــشـق إلا غـــرة وطمـــاعـــة
يعـــرض قلـــب نفســـه فـيصـــاب

تركنـــا لأطـــراف القـنا كل شـــهـــوة
فلـيـــس لـنـــا إلا بهـــن لعـــاب

١٠ – ومن أدب الصيام حفظ الأذن عن سماع الغيبة والنميمة . فالمستمع شريك القائل قال تعالى : ﴿ **سماعون للإثم أكالون للسحت** ﴾ .

١١ – حفظ اليد عن إيذاء الناس .

١٢ – حفظ الرجل عن المشى إلى ما حرم الله .

١٣ ـ حفظ القلب عن التفكير فى السوء أو المعصية. قال تعالى:

﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾.

١٤ – المحافظة على حدود الصيام وأن يكون الصائم مشفقا وجلا خشية ألا يقبل صومه : «فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » .

وأن يطعم الصائمين إن استطاع سواء أكانوا من الأصدقاء أم من الفقراء ، قال ﷺ : « من فطّر صائما كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئا » .

١٥ – أن يقول بعد الإفطار : ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر أن شاء الله .

١٦ – أن يروض نفسه على مراقبة الله والتواضع والسمو الروحى والصفاء النفسى وبذلك يخرج الصائم بزاد وفير من رمضان ويصبح الصوم مدرسة يتعلم فيها الصائم معانى الخير والرحمة والصفاء والنقاء ، وهو تعليم ينبع من داخل الإنسان ومن جنبات نفسه ، وحقا إن الصوم مدرسة الثلاثين يوما .

المفطرات (مبطلات الصيام)

المفطرات هى الأشياء التى يجب الإمساك عنها من طلوع الفجر إلى المغرب ، وهى :

١ – الأكل والشرب عمدا فإنهما يبطلان الصوم ويوجبان

القضاء عند الجميع ، واختلفوا في وجوب الكفارة فقالت الحنفية والمالكية والامامية تجب ، وقالت الشافعية والحنابلة لا تجب .

ومن أكل أو شرب ناسيا لصومه فلا قضاء عليه ولا كفارة . يقول الرسول ﷺ : « من نسى وهو صائم فأكل أو شرب ، فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » رواه الجماعة .

٢ - الجماع عمدا ، فإنه مبطل للصوم ، وموجب للقضاء والكفارة عند الجميع والكفارة هى عتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يطق فإطعام ستين مسكينا وهى على التخيير عند المالكية والإمامية وعلى الترتيب عند الشافعية والحنابلة والحنفية

٣ - الاستمناء : وهو إنزال المنى فإنه مفسد للصوم بالاتفاق ، إذا حصل بالاختيار ، بل قال الحنابلة إذا أمذى : أى نزل منه مذى بسبب تكرار النظر ونحوه فسد صومه ، وقال الأربعة : إن إنزال المنى يوجب القضاء دون الكفارة .

وقال الإمامية : يوجب القضاء والكفارة .

٤ - القىء تعمدا يفسد الصوم ، ويوجب القضاء عند الشافعية والمالكية والإمامية ، وقال الحنفية من تعمد القىء لا يفطر إلا إذا كان القىء ملء الفم ، واتفقوا على أن القىء قهرا لا يفسد الصوم .

مالا يبطل الصيام

هناك أشياء لا تبطل الصوم وإن ظن بعض الناس أنها تبطله .

ومع أن بعضها لا يبطل إلا أن الأولى الاحتراس منها إتماما لفضيلة الصيام وإليك بيان بما لا يبطل الصيام :

١ - الاكتحال فى العين لا يفسد الصيام ولو وجد طعمه فى حلقه، ومثله قطرة العين ومسها : لقول عائشة اكتحل النبى وهو صائم .

٢ - الإدهان بالزيت والروائح فى الشعر أو فى الجسم، كما لا يفسد الصوم بشم الروائح العطرية كالورد والنرجس والياسمين[١] .

٣ - حقن الدواء بأنواعها سواء أكانت تحت الجلد أم فى العضلات أم فى سائر الجسم وسواء أكانت للتداوى أم للتغذية على أصح الأقوال .

إلا أن الأولى البعد عن حقن التقوية حتى تتحقق حكمة الصيام وهى الخواء وقهر الشيطان .

قال ابن تيمية : « وشم الروائح الطيبة لا بأس به للصائم ، والكحل والحقنة »، ثم قال : « والأظهر ألا يفطر بشىء من ذلك » .

وأرى أن مقصد الصيام النسك والتبتل والأولى بالصائم أن يبتعد عن هذه الأشياء مبالغة فى المحافظة على صيامه فإن وقعت له لا تبطل الصيام .

٤ - ولا يبطل الصوم بتقبيل الصائم لزوجته ، فإذا خشى أن تتحرك شهوته ابتعد عنها ولذا قال الفقهاء ولا بأس بالقبلة للشيخ الكبير ومن يأمن على نفسه من الوقوع فى الجماع . لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى ﷺ يقبل ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه » أى شهوته .

٥ - الاحتلام بالنهار فلو احتلم الصائم بالنهار ونزل منه المنى وهو نائم فلا شئ عليه ، وعليه الغسل للصلوات .

٦ - السواك فى أول النهار وآخره بل هو سنة ، فإن الله طيب يحب الطيبين جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة .

٧ - الاستحمام وصب الماء على رأسه ، والمضمضة

(١) الاختيار : ١/١٧٤ .

والاستنشاق لتخفيف شدة الحر ويسن عدم المبالغة فى المضمضة والاستنشاق حتى لا يصل إلى الجوف شىء .

٨ - إذا بلع ريقه المتجمع فى فمه ، أو ابتلع نخامته فلا يفطر من هذه الأشياء ، لأنه أمر معتاد داخل الفم .

٩ - إذا ابتلع طعاما بين أسنانه وكان أقل من الحمصة أو السمسمة (لأن ما بين الأسنان لا يستطاع الامتناع عنه إذا كان قليلا فإنه تبع لريقه بخلاف الكثير وهو ما كان قدر الحمصة لأنه لا يبقى مثل ذلك عادة فلا تعم به البلوى ويمكن الاحتراز عنه)[1] .

أنواع الصيام

الصيام أنواع منها الفرض والواجب والحرام ، والسنة والمستحب والمكروه .

فصيام الفرض هو صيام رمضان ، وصيام الكفارات وهى كفارة اليمين والنذر والظهارة وكفارة الإفطار فى رمضان والصوم الواجب .. هو صوم النذر . قال تعالى : ﴿ **وليوفوا نذورهم** ﴾ .

الصيام المحرم :

هو صيام العيدين ، وأيام التشريق[2] ، لأن الله جعلها للفرح والسرور والتزاور. وهى مواسم سنوية يستحب فيها إظهار الفرح ومجاملة الناس . قال ﷺ : « إنما هى أيام أكل وشرب وبعال »[3] .

(١) الاختيار : ١/١٧٥ .
(٢) الأيام الثلاثة التى تلى عيد النحر ؛ وهى يوم ١١ ، ١٢ ، ١٣ ذى الحجة .
(٣) بعال : أى وطء الرجل زوجته .

الصيام المسنون والمستحب :

هو صيام الأيام البيض وهى اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر العربى .

وصيام ستة أيام من شوال ، وصيام يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذى الحجة ، وصيام الاثنين والخميس ، والإكثار من الصيام فى الأشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

خصوصا العشر الأوائل من ذى الحجة ، والعشر الأوائل من المحرم حيث يختم العام الهجرى بالصيام ويستقبل بالصيام .

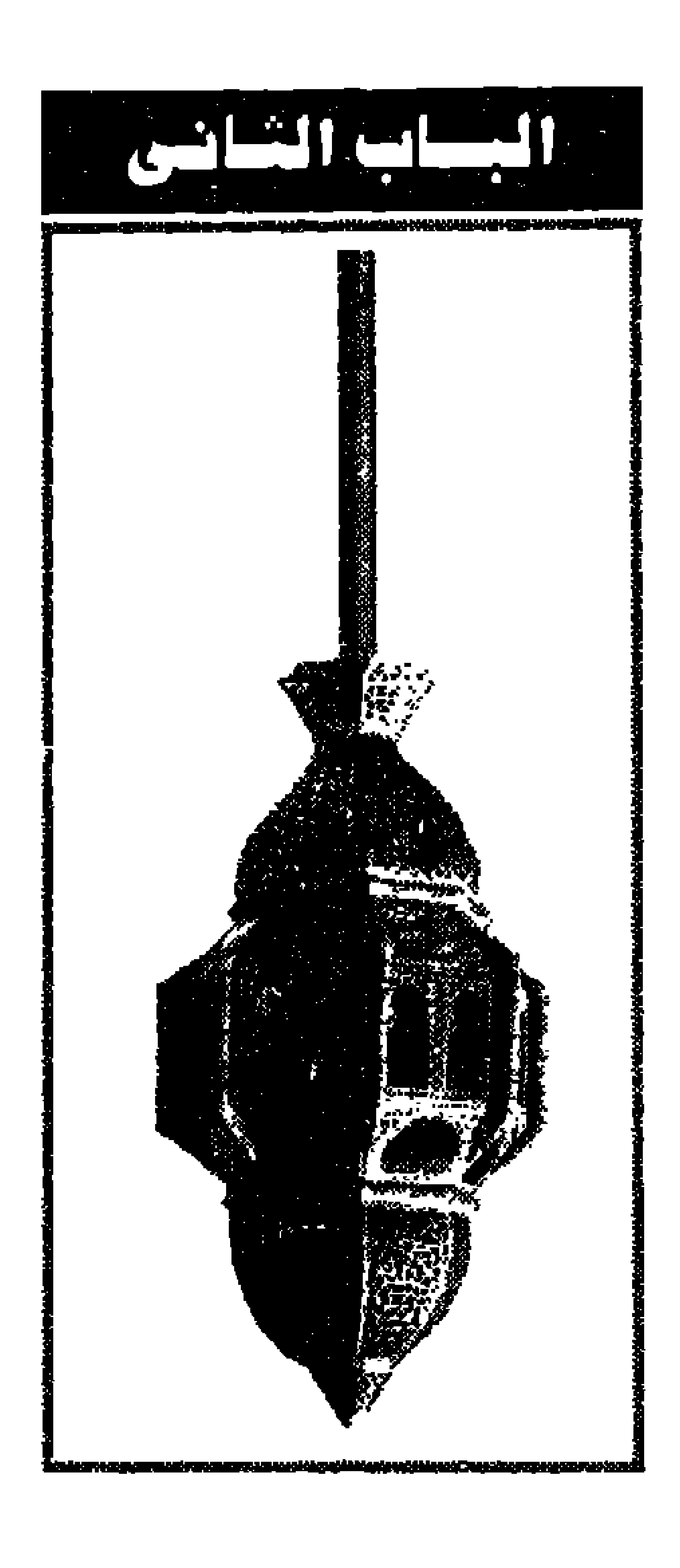
والصيام مستحب فى كل زمن يتيسر للإنسان فيه الصيام فهو قربة تؤدى فى أى فرصة مناسبة قال ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه له وجاء » .

الصيام المكروه :

هو صيام يوم الجمعة منفردا ، فإنه عيد أسبوعى ، قال على رضى الله عنه : « من كان منكم متطوعا ، فليصم يوم الخميس ولا يصم يوم الجمعة ، فإنه يوم طعام وشراب وذكر » .

وفى الصحيحين من حديث جابر أن النبى ﷺ قال : « لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم » .

الباب الثانى



العبادة

الحكمة من العبادة

حقيقة العبادة

معنى العبادة في اللغة :

جاء في المصباح المنير : (عبدت الله أعبده عبادة) وهى الانقياد والخضوع ، وفى اللسان : أصل العبودية : الخضوع والتذلل .

وفى القاموس : العبدية والعبودية والعبادة : الطاعة .

وفى المخصص ج ١٣ ص ٩٦ :

أصل العبادة التذليل . من قولهم طريق معبد أى بكثرة الوطء عليه .

ومنه أخذ (العبد) لذله لمولاه .

والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة ، قرائب فى المعانى .

وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة ، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة .

العبادة فى الشرع :

إذا كانت العبادة في اللغة معناها الخضوع .

فإنها فى الشرع معناها الخضوع والحب ، أو الخضوع والتأله ، وقد استعمل القرآن كلمة العبادة بمعناها اللغوى وهو الخضوع والطاعة ، قال تعالى : ﴿ **وتلك نعمة تمنها على أن**

عبدت بنى إسرائيل ﴾ [الشعراء :٢٢] أى قهرتهم وغلبتهم واخذتهم عبيدا .

وقال سبحانه : ﴿ **وقومهما لنا عابدون** ﴾ [المؤمنون :٤٧] . أى مطيعون متذللون .

كما استخدم القرآن كلمة العبادة بمعناها الشرعى وهو الخضوع والطاعة والتأله . قال تعالى :

﴿ **إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى** ﴾ [طه : ١٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه** ﴾ [هود : ١٢٣] .

وقد أمر الله تعالى أن نخصه سبحانه بالعبادة بمعناها الشرعى وهو التأله . قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى رسالته عن العبودية :

العبادة أصل معناها الذل يقال طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام . ولكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له .

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدا له . ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له . كما قد يحب الرجل ولده وصديقه . ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شىء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شىء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله.

أسس العبادة الصحيحة :

العبادة الصحيحة لابد أن تعتمد على أمرين :

الأول : الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه رسله أمرا ونهيا ،

وتحليلا وتحريما ، وهذا هو الذى يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله .

فليس عبدا ولا عابدا من رفض الاستسلام لأمره ، واستكبر عن اتباع نهجه والانقياد لشرعه ، وأن أقر بأن الله خالقه ورازقه ، فقد كان مشركو العرب يقرون بذلك ، ولم يجعلهم القرآن بذلك مؤمنين ، ولا عبادا لله طائعين .

والثانى : أن يصدر الالتزام من قلب يحب الله تعالى . فليس فى الوجود من هو أجدر من الله تعالى بأن يحب ، فهو صاحب الفضل والإحسان ، الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، وفضله على كثير من خلقه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة واستخلفه فى الأرض ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وسخر له الكون كله وميزه بالعقل والعلم .

فمن أولى من الله بالمحبة ؟ وهو صاحب الكمال والجمال والجود والإحسان **﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾** [النحل : ٥٣] .

وحقيقة المحبة إلا تتم بموالاة المحبوب والتزام أوامره واجتناب نواهيه وحب ما يحب وبغض ما يبغض ، والله يحب الإيمان والتقوى ويبغض الكفر والفسوق والعصيان .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار) .

فهذه هى حقيقة العبادة فى الإسلام إنها معنى مركب من عنصرين : غاية الخضوع لله تعالى : مع غاية المحبة له سبحانه .

اتساع مجال العبادة :

وقد أفسح الإسلام مجال العبادة ووسع دائرتها فلم يقصرها على أركان الإسلام الخمسة بل جعلها تشمل كل عمل نافع كمساعدة المحتاج وهداية الضال وإصلاح ذات البين وزيارة المريض ، وإرشاد الناس إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

حتى أعمال الإنسان الدنيوية إذا قصد الإنسان بها وجه الله كانت عبادة فالسعى على المعاش ، وتربية الأولاد ، ورعاية الأسرة والتجارة والزراعة ، وطلب العلم وكل عمل يستفيد منه الإنسان وينفع به الآخرين عبادة ، فإذا صدقت نية المؤمن وصحت وجهته كانت حياته كلها عبادة .

يقول المسلم النمساوى الأستاذ محمد أسد فى بيان مزية العبادة فى الإسلام : يختلف إدراك العبادة فى الإسلام عنه فى كل دين آخر . إن العبادة فى الإسلام ليست محصورة فى أعمال من الخشوع الخالص كالصلاة والصيام مثلا ، ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضا ولذا كانت الغاية من حياتنا على العموم « عبادة الله » فيلزمنا حينئذ - ضرورة - أن ننظر إلى هذه الحياة فى مجموع مظاهرها كلها على أنها تبعة أدبية متعددة النواحى . وهكذا يجب أن نأتى أعمالنا كلها - حتى تلك التى تظهر أنها تافهة - على أنها عبادات ، وأن نأتيها بوعى ، وعلى أنها تؤلف جزءا من المنهاج العالمى الذى أبدعه الله[١] .

وكما شملت العبادة فى الإسلام الحياة كلها ، فإنها استوعبت كذلك كيان الإنسان كله . المسلم يعبد الله بالفكر ، ويعبد الله

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٢١ ترجمة الدكتور عمر فروخ .

بالقلب ، ويعبد الله باللسان ، ويعبد الله بالسمع والبصر وسائر الحواس ، ويعبد الله ببدنه كله ، ويعبد الله ببذل المال ، ويعبده ببذل النفس ، ويعبده بمفارقة الأهل والوطن .

فعبادة الله بالفكر عن طريق التأمل فى النفس والآفاق ، والتفكر فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شىء .

وعبادة القلب : عن طريق حب الله ، وخشيته ورجاء رحمته ، والرضا بقضائه . والصبر على بلائه ، والشكر على نعمائه ، والحياء منه ، والتوكل عليه والاخلاص له .

وعبادة اللسان : هى النطق بالشهادتين ، وتلاوة القرآن ، وذكر الله ، وصدق الحديث ، ورد السلام ، وأداء الشهادة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وعبادة السمع : هى الانصات للحق ، وتعلم العلم واستماع خطبة الجمعة ، وقراءة الامام فى الصلاة .

وعبادة العين : هى النظر فى المصحف ، وفى كتب العلم ، وفى آيات الله المشهودة ليستدل بها على توحيد الله ومعرفته ، وغض البصر عن المحارم والعورات .

وهكذا نجد أن عبادة هذه الجوارح هى استخدامها فيما خلقت له ، والبعد بها عما حرمه الله ، وبذلك تشمل العبادة جميع جوارح الإنسان ، من رأسه إلى قدمه . قال تعالى : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

الحكمة من العبادة

ذكرنا أن العبادة هى الخضوع الممزوج بالتأله والحب ، وذكرنا أن مجال العبادة فى الإسلام يمكن أن يتسع ليشمل الحياة بمختلف جوانبها .

ونريد أن نتعرف هنا على الحكمة من العبادة فى الإسلام ، وبعبارة أخرى لماذا نعبد الله تعالى ؟

هل هو سبحانه محتاج لهذه العبادة ، وهل يعود عليه نفع من خشوعنا له ،وانقيادنا لأمره ونهيه جل شأنه ؟

أم النفع يعود علينا نحن المخلوقين ؟ .

ونبادر فنذكر أنه سبحانه غني عن عبادة العابدين فلا تنفعه طاعة من أطاع ، ولا تضره معصية من عصى . ولا يزيد فى ملكه حمد الحامدين . ولا ينقصه جحود الجاحدين .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد** ﴾ [فاطر : ١٥] .

وقال سبحانه : ﴿ **ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد** ﴾ [لقمان : ١٢] .

وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله عز وجل : (يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ، مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ما نقص ذلك من ملكى شيئا) .

وإذا كان الله غنيا عن عبادتنا له فلماذا فرض علينا هذه العبادة؟

لقد فرض الله علينا عبادته لأهداف سامية ، وحكم عالية ، نذكر منها ما يأتى :

١ - العبادة باب السعادة النفسية :

فالعبادة طريق إلى مناجاة الله ، ومناداته ، والتعرف إليه فى الرخاء ، والالتجاء إليه فى البأساء .

والقلب الإنسانى دائم الشعور بالحاجة إلى الله ، وهو شعور أصيل صادق ، لا يملأ فراغه شيء فى الوجود إلا حسن الصلة برب الوجود ، وهذا ما تقوم به العبادة إذا أتيت على وجهها .

قال ابن القيم : « إنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها ، فهو إلهها ومعبودها ، ووليها ومولاها ، وربها ومدبرها ورازقها ومميتها ومحييها ، فمحبته نعيم النفوس ، وحياة الأرواح، وسرور النفوس ، وقوت القلوب ، ونور العقول ، وقرة العيون ، وعمارة الباطن »(١) .

وقال بعض العباد ، إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طربا بأنسه بالله وحبه له .

وقال آخر : مساكين أهل الغفلة خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها فقيل له وما هو ؟ قال : محبة الله والأنس به .

٢ - العبادة طريق العزة والكرامة :

فمن عبد الله حق العبادة قوى يقينه ، واشتدت ثقته بأنه سبحانه هو وحده النافع الضار ، بيده الخلق والأمر .

ومن اعتمد على الله فقد أعفى نفسه من الاعتماد على المخلوقين، وبذلك يصبح سيدا عزيز الجانب ، لا يذل لمخلوق ، ولا يركع لإنسان ، بل يطلب الحوائج بعزة نفس وإباء لعلمه ؛ أن الأمور تجرى بقضاء الله وقدره ، إنه يأخذ بالأسباب مع ثقته أن المسبب الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى .

قال ﷺ : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء مانفعوك إلا بشيء قد كتبه الله

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/١٩٧ .

لك . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء ماضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف » .

٣ - العبادة امتحان إلهي يصقل الإنسان :

لقد خلق الله الإنسان للاختبار والابتلاء ، وحمله الأمانة وهى التكاليف الشرعية ، فله الثواب إن أطاع ، والعقاب إن عصى ، وقد خص الله الإنسان بالعقل والإرادة والاختيار ، وهى نعم إلهية وتكريم سماوى ، ولكنها تحمل فى طياتها ابتلاء وامتحانا للإنسان أيشكر أم يكفر ؟ أيطيع ربه أم يتمرد عليه ؟

قال تعالى : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا** ﴾ [الإنسان : ٢] .

فالحياة الدنيا امتحان للإنسان واختبار له ، قال تعالى : ﴿ **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾ [الملك : ١، ٢] .

وجميع ما على وجه الأرض من مال أو منصب أو جاه أو سلطان إنما هو أساس ذلك الابتلاء قال تعالى : ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا** ﴾ [الكهف : ٧]

●●●

إن منازل العلياء فى الدنيا لا تنال إلا بالجد والتعب :

يغوص البحر من طلب اللآلى ومن طلب العلا سهر الليالى

هذا شأن حياتنا القصيرة فكيف بحياة الخلود ؟

هل يصح أن يستوى الصالح والطالح : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ؟ [الجاثية : ٢١] .

لقد شاء الله أن تحف الجنة بالمكاره ، وهي مطالب العبادة فمن أداها فقد نجح في الامتحان وأدى واجب الإيمان ، وقد جاء في الإنجيل (ما أضيق الطريق الذى يؤدى إلى الحياة الأبدية) وما ضيقه إلا تكاليف العبودية .

وقال تعالى : **﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾** [العنكبوت : ٢، ٣] .

٤ - العبادة حق الله على عباده :

لقد خلق الله الخلق ورزقهم ، وسخر لهم السماء والأرض والبحار والأنهار والكائنات ، ويسر للإنسان الحياة ، وأغدق عليه ألوان النعم :**﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** [إبراهيم:٣٤]

فلا عجب أن يكون لهذا الخالق المنعم ، حق العبادة والاستعانة به والابتهال إليه ، والوقوف ببابه الكريم موقف الضراعة والإنابة، قال تعالى : **﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾** [البقرة : ٢١، ٢٢] .

العبادات الكبرى

الأصل في العبادات أنها تؤدى امتثالا لأمر الله وأداء لحقه على عباده ، وشكرا لنعمائه ، وليس من اللازم أن يكون لهذه العبادات ثمرات ومنافع في حياة الإنسان المادية ، وليس من الضرورى أن يكون حكمة يدركها عقله المحدود .

وكم لله من سر خفى   يدق خفاه عن فهم الذكى

●●●

يقول الأستاذ عباس العقاد :

« العبادات شعائر توقيفية تؤخذ بأوضاعها وأشكالها ، ولا يتجه الاعتراض إلى وضع من أوضاعها ، إلا أمكن أن يتجه إلى الوضع الآخر ، لو استبدل منها ما اقترحه المقترح بما جرى عليه العمل وقامت عليه الفريضة من نشأتها » .

لماذا يكون الصوم شهرا ولا يكون ثلاثة أسابيع أو خمسة ، لماذا تكون حصة الزكاة جزءا من عشرة أجزاء ، ولا تكون جزءا من تسعة أو من خمسة عشر ؟

لماذا نركع ونسجد،ولا نصلى قياما أو قياما وركوعا بغير سجود؟

من اعترض بأمثال هذه الاعتراضات ، فليس ما يمنعه أن يعود إلى الاعتراض لو فرض الصيام ثلاثة أسابيع ، أو فرضت الصلاة على وضع غير وضعها الذى اتفق عليه أتباع الدين .

إن هذه الأوضاع فى نهاية الأمر أوضاع توقيفية ، لا موجب من العقل للتحكم فيها بالاقتراح والتعديل ، لأن المقترح المعدل لن يستند إلى حجة أقوى من الحجة التى يرفضها، ويميل إلى سواها.

ويسرى هذا على كل تنظيم فى أمور الدنيا ، ولا يسرى على أمور الدين وحده .

فلماذا يكون عدد الكتيبة فى جيش هذه الأمة خمسين مثلا ويكون فى أمة غيرها أربعين أو مائة ؟

ولماذا يجعل اللون الأخضر رمزا لهذا المعنى فى ألوان العلم القومى ، عند قوم من الأقوام ، وهو مجعول لغير هذا المعنى عند أقوام آخرين ؟ لا مناص فى النهاية من أسباب توقيفية يكون التسليم بها أقرب إلى العقل من المجادلة فيها »[١] .

(١) عباس العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

فالعبادة أمر تعبدى نحاول أن نتبين بعض الحكم والغايات من تشريعها ، لأنها تشريع الحكيم العليم .

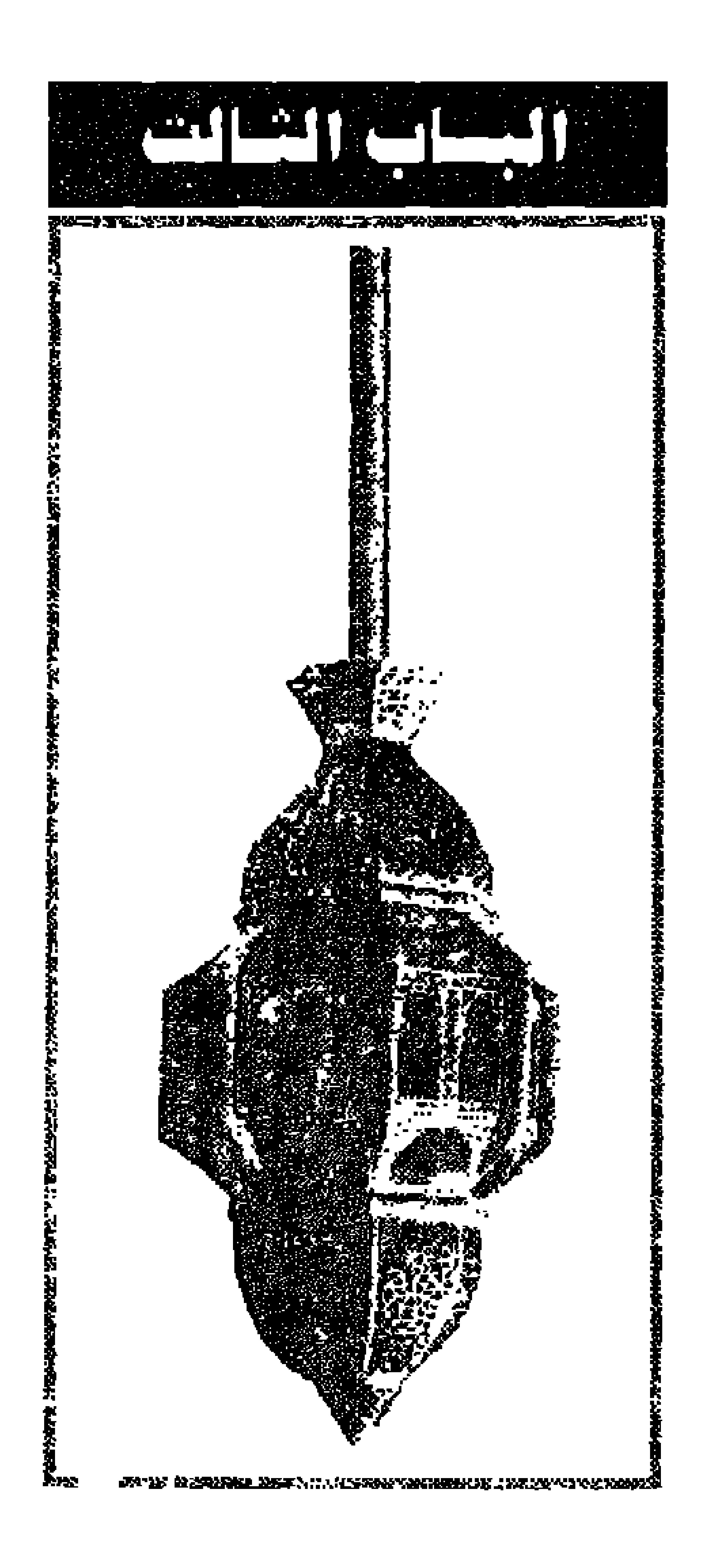
وعبادات الإسلام الكبرى : من صلاة وصيام وزكاة وحج ، لها أهداف سامية وحكم عديدة ، سنحاول أن نتعرف على بعضها إن شاء الله .

فالصلاة صلة بين العبد وربه ، ومناجاة وعبادة وخلوة ؛ وفيها حصر الذهن ؛ والتكبير والقراءة ، الركوع والسجود والتشهد ؛ وهى راحة للنفس ؛ وسعادة للروح ، وخشوع للقلب ، قال تعالى :

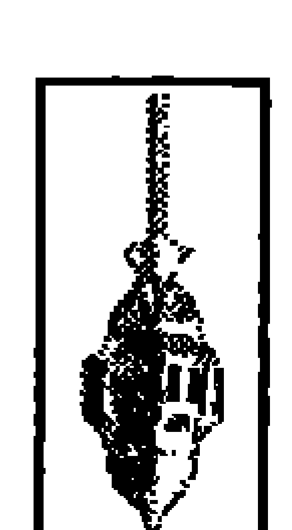
﴿ قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾

[المؤمنون : ١ ، ٢]

اما حكمة الصيام فستجدها فى الباب التالى إن شاء الله .



حكمة الصيام



الصيـــــام(١)

تنوع العبادات فى الإسلام :

نوع الإسلام فى عبادته : فمنها ما يتمثل فى القول كالدعاء وذكر الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعليم الجاهل وإرشاد الضال ..

ومنها ما يتجلى فى الفعل بدنياً كالصلاة ، أو مالياً كالزكاة أو جامعاً بينهما كالحج والجهاد فى سبيل الله .

ومنها ما ليس قولا ولا فعلا ، ولكنه كف وامتناع فقط ، وذلك كالصيام .

حكمة الصيام :

فرض الله الصيام لحكم بالغة منها ما نعرف ومنها ما نجهل ونحاول هنا أن نتلمس بعض الحكم والغايات من فريضة الصوم :

١ - الصوم حافز على التقوى :

التقوى فى معناها البسيط هى مراقبة الله تعالى .

والصائم يمسك عن الطعام والماء والشهوة طائعا ممتثلا ، فرحا

(١) انظر : إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ٢٠٧/١ ؛ روح الدين الإسلامى ط ٧ ، العبادات فى الإسلام للأستاذ يوسف القرضاوى ط ٣ ص ٢٧١ ، حكمة التشريع وفلسفته للشيخ على أحمد الجرجاوى .

مسرورا بطاعة مولاه ، والتزام أوامره واجتناب نواهيه . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة ١٨٣]

وقد فسر بعضهم التقوى بقوله : التقوى هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

وقال آخر : التقوى هى ذوبان الحشا لما سبق من الخطى ، ويرى الأستاذ مصطفى صادق الرافعى : أن الصوم وقاية للإنسان من المعاصى ، ووقاية للنفس من الشر والإثم ، ومدرسة يتعلم فيها الصائم سمو الروح ، ولذة المناجاة ، وصفاء النفس ، فلا عجب أن يسمى مدرسة الثلاثين يوما .

٢ - الصوم قوة للروح :

الإنسان مركب من روح وجسد ، وللجسد مطالبه من أكل وشرب وشهوة ، وللروح مطالبها من عبادة وتدبر ، وتأمل فى ملكوت السموات والأرض ، فإذا أخضع الإنسان أشواق روحه لمطالب جسده وحكم غريزته فى عقله ، استحال من ملاك رحيم إلى حيوان ذميم .

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

أما إذا أدرك الإنسان سر وجوده ، وحكمة استخلافه فى الأرض وعرف أن الله قد نفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وميزه على جميع المخلوقات ، وأن الجسد مطية للروح ، أو بيت تسكن فيه الروح وأحرى بالمطية أن تكون لمنفعة الراكب ، وبالبيت

أن يكون لمصلحة الساكن ، إذا أدرك الإنسان قيمة نفسه ، وحكم جانبه السماوى فى جانبه الأرضى ، وغلب أشواق الروح على نوازع الجسد ، فقد صار ملاكا أو خيرا من الملاك .

وهذا الصراع بين الجسد والروح ، ميدانه نفس الإنسان ، فمن تسامى بغرائزه ، وزكى نفسه وطهرها من الآثام ، فقد فاز بالفلاح والفوز ـ قال تعالى : ﴿ **ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** ﴾ [الشمس ٧ـ١٠]

وقد فرض الله الصيام ، لتهذيب النفس ، وتقوية الروح وليتحرر الإنسان من سلطان غرائزه ، وينطلق من سجن جسده ، ويتغلب على نزعات شهواته ، ويتحكم فى مظاهر حيوانيته ، ويتشبه بالملائكة ، فليس عجيبا أن يرتقى روح الصائم ، ويقترب من الملأ الأعلى ، ويقرع أبواب السماء بدعائه فتفتح ، ويدعو ربه فيستجيب له ، وقد عقب الله على آيات الصيام بقوله سبحانه :

﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ويقول النبى ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم .. »[١] .

٣ – الصوم تربية للإرادة :

ورد فى الحديث (الصوم نصف الصبر)[٢] ، وفى حديث آخر (الصبر نصف الإيمان)[٣] .

---

(١) رواه الترمذى وحسنه وأحمد وابن ماجة، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .
(٢) رواه الترمذى وحسنه وانظر الاحياء ١/٢٠٧ .
(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ بسند حسن .

وبذلك يكون الصوم ربع الإيمان .

الصائم يجوع ويعطش ، ولكنه يصبر طائعا محتسبا ، ويتكرر ذلك منه فى كل يوم نحو خمس عشرة ساعة أو أكثر ، ولمدة شهر كامل فى كل عام ، وبذلك يتمرس على قوة الإرادة ومضاء العزيمة ، وقد وضع الأستاذ الألمانى (جيهاردت) كتابا فى تقوية الإرادة ، جعل أساسه الصوم ، وذهب فيه إلى أنه هو الوسيلة الفعالة ، لتحقيق سلطان الروح على الجسد ، فيعيش الإنسان مالكا زمام نفسه ، لا أسير ميوله المادية[1] .

وقد سبق الإسلام فى دعوته إلى الصوم كوسيلة فعالة للعفة والاستقامة والطهارة النفسية والخلقية . وحسبك أن تسمع نداء الرسول للشباب « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[2] .

والصوم بما فيه من صبر وفطام للنفوس - من أبرز وسائل الإسلام فى إعداد المؤمن الصابر المرابط المجاهد ، الذى يتحمل الشظف والجوع والحرمان . ويرحب بالشدة والخشونة وقسوة العيش ما دام ذلك فى سبيل الله .

٤ - الإحساس بالنعمة :

من حكم الصيام أنه يذكر الإنسان بنعمة الله عليه ، فالإنسان

(١) عفيف عبدالفتاح طباره : روح الدين الإسلامى ط ٧ ص ٢٤٩ .

(٢) رواه البخارى ؛ والوجاء بالكسر والمد رض عروق البيضتين حتى تنفضح فيكون شبيها بالخصاء .

والمراد أن الصوم يضعف الشهوة ؛ ويساعد الشباب على العفة .

إذا تكاثرت عليه النعم ألفها وطال أنسه بها ، وربما نسى الشعور بقيمتها والإحساس بأهميتها من طول تعوده على وجودها .

قال تعالى : ﴿ وكاين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ [يوسف ١٠٥] .

والنعم لا تعرف إلا بفقدانها ، فالصحة لا تعرف قيمتها إلا عند المرض ، والمال لا تدرك قيمته إلا عند الفقر ، والشبع لا تدرك أهميته إلا عند الجوع . وبضدها تتميز الأشياء .

ففى الصوم إدراك لقيمة الطعام والشراب ، والشبع والرى ، ولا يعرف ذلك إلا إذا ذاق الجسم حرارة العطش ومرارة الجوع قال ﷺ : « عرض علىّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا . قلت لا يارب أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت سألتك وإذا شبعت حمدتك »(١) .

٥ – تذكير بحرمان المحرومين :

جعل الله الصوم زكاة الجسد يؤديه الغنى والفقير ، وفيه مشاركة تامة بين الجميع حتى يشعر الغنى بألم الجوع ، ومرارة الحرمان ، فيتعاون مع إخوته فى مساعدة المحتاج ، وإطعام الجائع ، وكسوة العارى ، ومسح المرارة والآلام من الشفاه والنفوس .

قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ وقال ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن أطعم جائعا أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن كسا عريانا

---

(١) رواه الترمذى وحسنه .

كساه الله من السندس الأخضر يوم القيامة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » .

٦ - طاعة الله وامتثال أوامره :

الصوم أولا وأخيرا حق الله على العباد فإذا أمر الله بأمر أو نهى عن نهى وجب على العباد أن يمتثلوا ويطيعوا ، فالله عز وجل لا يأمرنا إلا بما فيه مصلحتنا ولا ينهانا إلا عما فيه ضررنا ، وقد تخفى الحكمة علينا ، ولكن الله العلى الحكيم يعرف ما لا نعرف ، ويعلم ما لا نعلم ، وهو علام الغيوب ، فمن واجب المؤمن أن يستجيب لأمر الله مطيعا متعبدا متألها ، قال تعالى : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** ﴾ [النور ٥١ - ٥٢] .

وهذا القدر مشترك بين جميع العبادات ، الأصل فيها الطاعة لله فيما شرعه ، وتلمس الحكمة بعد ذلك ، مع الثقة أن أسمى حكمة هى طاعة الله وامتثال أوامره ، والرغبة فى مرضاته ، فذلك باب السعادة النفسية والفلاح فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون** ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

هذا هو الصوم شرعه الله تربية للإرادة ، وتهذيبا للنفس ، وتعويدا على الصبر ، وتدريبا على التحمل ، وتذكيرا للغنى بأخيه الفقير ، وترغيبا فى المواساة والتعاون والتراحم ، وبذلك يسود بين الناس المحبة والاطمئنان ، والسلامة والسلام .

المسلمون والصيام

جعل الله الصوم مدرسة يتعلم فيها الصائم أبلغ العظات، وأقوى الدروس، بلا صوت ولا كلام، إنها دروس تنبع من داخل معدته الخاوية، ونفسه الهادئة، ويقينه بالله، ومراقبته لمولاه.

وقد امتثل المسلمون الأولون فجعلوا من رمضان موسما لقراءة القرآن ومدارسة العلم، والجهاد فى سبيل الله، فتكررت فتوحاتهم فى رمضان، مثل غزوة بدر فى ١٧ رمضان سنة ٢هـ وفتح مكة فى ٢٠ رمضان سنة ٨ هـ وتوالت فى تاريخ الأمة الإسلامية معارك مجيدة فى شهر رمضان كان آخرها معركة العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ.

وأحرى بنا أن نجعل من رمضان موسما للعمل الصالح، ومدارسة القرآن، والالتزام بالحكمة والصبر، والجود والخير.

وبعض الناس فى هذه الأيام، لا يعنيه من رمضان إلا المظهر دون المخبر، والشكل دون المضمون.

جعل الله رمضان للقلب والروح فجعلوه للبطن والمعدة، جعله الله للحلم والصبر، فجعلوه للغضب والطيش، جعله الله للسكينة والوقار، فجعلوه شهر السباب والشجار، جعله الله للصيام والقيام والعبادة والطاعة، فجعلوه للسهر والمتعة، واللهو والتسلية.

جعله الله تهذيبا للغنى، ومواساة للبائس المحروم، فجعلوه معرضا لفنون الأطعمة والأشربة، تزداد فيه تخمة الغنى، بقدر ما تزداد فيه حسرة الفقير.

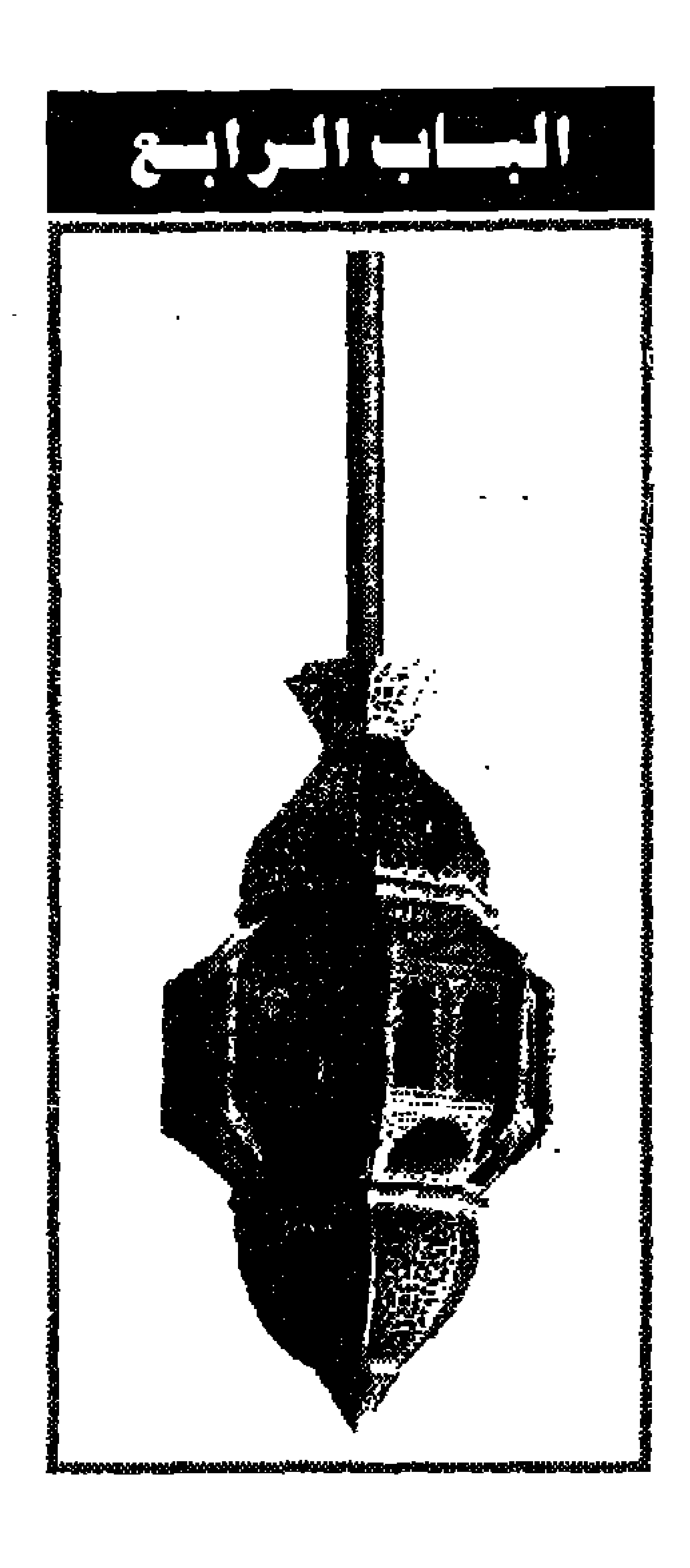
جعله الله موسما للجهاد ونشر الإسلام ، فجعلوه موسما للترف والاسترخاء .

ألا ليت شعرى هل يفيق هؤلاء ، قبل أن يحل بهم ما حل بأسلافهم من المترفين والمسرفين .

وهل يستيقظ وجدانهم ليدركوا حكمة الصيام ، وهى سلوك عملى ، وصوم بالجوارح ، وابتعاد عن السوء ، وتصحيح للعمل .

قال ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

الباب الرابع



آداب إسلامية
فى كلمات موجزة

الاقتداء برسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ : « من رغب عن سنتى فليس منّى ».
أرسل الله محمدا ﷺ هاديا ومبشرا ونذيرا ، وبعث بالحنيفية السمحة السهلة ، تجمع بين العمل للدنيا والعمل للآخرة فلا رهبانية فى الإسلام ، ولكن فيه توسّط وتمتع بالحياة ، مع الاخلاصِ والجدّ فى العمل للآخرة .

وكان بعض الرجال يميلون إلى الزيادة فى العبادة ، وإلزام أنفسهم بقيام الليل وصيام النهار واعتزال النساء ، زهدا فى الدنيا ، ورغبة فى التبتل والعبادة ، فيرشدهم النبى ﷺ إلى الطريقة المثلى ، وهى إعطاء الجسم حقه من الأكل والنوم والمتعة الحلال ، وإعطاء الله حقّه من العبادة والطاعة والالتزام .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أمّا أنا فإنى أصلّى الليل أبدا ، وقال آخر أنا أصوم الدّهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى

لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

السنة النبوية

حث القرآن الكريم على طاعة الرسول ﷺ والاقتداء به ، وأمرنا بمحبته واتباعه ، قال تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ [النساء : ٨٠]

وقال عز شأنه : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾ [الأحزاب : ٢١]

والرسول ﷺ يبين القرآن ويشرح أحكامه ويفصلها ؛ واتباعه واجب قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ [النحل : ٤٤] .

والرسول ﷺ معصوم عن الخطأ فى بيان أحكام الشرع ، قال تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ [النجم : ٣ ـ ٤]

وللرسول ﷺ أن يجتهد فى أمور الحياة والنظم السياسية ؛ والمدنية والحربية والحياة العامة ؛ لكن الله تعالى لا يقرّه على خطأ ، ولا على خلاف الأولى ، بل يرشده الوحى ليكون قدوة عملية لأمته ، وليكون سلوكه تطبيقا للقرآن الكريم ، وبيانا له ، سئلت عائشة رضى الله عنها عن أخلاق النبى ﷺ القدوة والأسوة . فى عبادته وأخلاقه ورحمته وشجاعته وسائر صفاته : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

ذكــر الله

قال رسول الله ﷺ : « مـثل البيت الذى يذكر الله فيـه ، والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحىّ والميت » .

بيوتنا يسـعدها ويرفع شـأنها ذكر الله تعـالى ؛ تلاوة القرآن ؛ الصلاة والصيام وإفشاء السلام ؛ الصلاة بالليل والناس نيام .

قال تعالى: ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه** ﴾ [النور : ٣٦]

وفى التفـسير أنـها المساجـد ؛ وبيوت المؤمنين الذين يعـمرون بيـوتهم بالصـلاة والـعـبـادة وتنفـيـذ آداب الإسـلام ؛ فى الأكل والشـراب والملبس ، والاسـتئـذان وغض النظر وسـتر العـورة ، وتخير الكلام الطيب ، وهجر القبيح .

مثل هذه البـيوت ، بيـوت عامرة بالحـياة وطاعة الله وحـضور الملائكة ، وهروب الشياطين .

والبيت الذى لا يذكـر الله فيه لا تقـام فيه الصلاة ولا الصـيام ولا القـرآن ولا ذكـر الرحـمن ، وربما وجـد فيـه الخـمـر والاثم والمنكر ، فـهذا بيت مـيت خرب من الرفـعة المعنوية ، بيـوتنا نحن نحـيها إذا جعلناها بـيوتا عـالية علوا مـعنويا ، لا ترتكب فـيها معـصية ، بل نطهرها بذكـر الله ذكـرا كثيرا ، وتسـبيحه وحـمده حـتى يرحـمنا الله ويهـدينا من ظـلام النفس وظـلام المعصـية وظـلام الشهوة ، إلى نور الطاعة ، ووضاءة العبادة ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الـذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كـثيـرا وسبـحوه بكرة وأصـيـلا هو الذى يصـلى عليكم ومـلائكتـه لـيـخـرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما** ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣]

وسطية الإسلام

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ صنع شيئا فرخّص فيه أى أخذ فيه بالأيسر ، فتنزه عنه قوم ، أى أخذوا أنفسهم بالأشدّ فبلغ ذلك النبى ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

كان ﷺ قدوة عملية هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وما خيرّ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فكان أبعد الناس عنه .

كان ﷺ إنسانا بشرا سويا يبلّغ رسالة الله ، ويتمتع بنعم الله تعالى ، وينهج منهجا وسطا معتدلا .

يحارب التشدد والغلوّ فى الدين ، فالله تعالى يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا** ﴾ .

والنبى ﷺ يقول : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

وصح أنه ﷺ قال لقوم أرادوا رفض الدنيا والترهّب « إنما هلك من كان قبلكم بالتّشديد ، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم فى الديار والصوامع ؛ فأعبدوا الله ولا تشركوا به واستقيموا ، يستقم بكم » .

يسروا ولا تعسروا

كان ﷺ المثل الأعلى فى الإنسانية ، حارب الترف وابتعد عنه وقال ﷺ أخشى ما أخاف على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل .

وفي نفس الوقت كان إنسانا متوسطا مستمتعا بنعم الله تعالى، يأكل اللحم ، وينام على الفراش ، ويستمتع بالطيب ، ويتزوج النساء .

وقد جاء أناس إلى زوجات النبي ﷺ يسألون عن عبادته في السر ؛ فلما أخبروا اعتبروها قليلة ، فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم « إني لا آكل اللحم أبدا » .

وقال الثاني : « إني لا أنام على فراش حتى أقوم الليل ولا أرقد » .

وقال الثالث : « إني أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا » . وظنوا أنهم بهذا يفرِّغون أنفسهم للعبادة والزهد والرهبانية ؛ لينالوا درجة أعلى .

فقال ﷺ لهم : « ليس في ديني ترك النساء واللحم ولا اتخاذ الصوامع » .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، إني لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية ، ومع هذا كان سلوكه ﷺ سلوكا وسطا ، ينام ويقوم ، ويصوم ويفطر ، ويتزوج النساء ، ويتمتع بنعم الله ، ويقول ﷺ : « يسروا ولا تعسروا وبشروا . ولا تنفروا » .

كلوا من الطيبات

قال تعالى : ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين**

آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [الأعراف : ٣١ : ٣٢] .

وأرشدنا القرآن إلى التأمل فى الكون ونظامه وجماله وروعته ، وأمرنا أن نستمتع بالطيبات ، ونستر أنفسنا بالثياب ، ونتجمل بالرياش وبالتقوى ، قال تعالى :

﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكّرون ﴾ [الأعراف : ٢٦]

لقد حث القرآن الكريم على التمتع بالطيبات ما دام ذلك فى حلال قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾** [البقرة : ١٧٢] .

وقال تعالى : **﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾** [المؤمنون : ٥١] .

وقال ﷺ : « وفى بضع أحدكم صدقة » .

قلنا يا رسول الله يأتى أحدنا شهوته فيكون له ثواب فقال ﷺ أرأيتم لو وضعها فى حرام . أكان عليه عقاب ؟

قلنا نعم ، أى فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له ثواب .

نعم الله

ينسب بعض المتشددين فى الدّين إلى النبى ﷺ أحاديث غير صحيحة ، مثل :

« جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله » .

« لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه » .

« سيد الأعمال الجوع وذل النفس ولبس الصوف » .
وهى نصوص لا يوجد لها أصل فى صحيح المروى عن النبى ﷺ .
بل إن القرآن حثنا على التمتع بالنعم والطيبات قال تعالى :
﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾ [النحل : ٥ ـ ٦] .
وأمتن الله علينا بألوان النعم فى هذا الكون قال تعالى :
﴿ وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ [إبراهيم : ٣٢ ـ ٣٤] .

محمد رسول الله ﷺ

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال :
« ليأتين على أحدكم زمان لأن يرانى أحبُّ إليه من أن يكون له مثل أهله وماله » .
يدل الحديث على استمرار حب المسلمين لنبيهم ولصحابته وللتابعين قال ﷺ :
« لن تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .
وحتى إذا أشتد البلاء أو كثرت الفتن ، فإن الناس تلجأ إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .
والنبى ﷺ يخبر أن من أمته من يتمنى لو أنه رأى رسول الله ﷺ وتكون هذه الأمنية أحب إليه من أن يكون له ضعف ماله ،

وضعف أولاده .

ومحبة النبى ﷺ أمر بها القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ [آل عمران : ٣١]

ويقول النبى ﷺ : « ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

لقد أمرنا بتوقير النبى وتعظيمه والصلاة عليه والدعاء له بالوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود يوم القيامة قال تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبىّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليما** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

من أقوال الرسول ﷺ

قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ماله وولده ونفسه والناس أجمعين » .

من قال حين يسمع الأذان والإقامة :

اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد . وجبت له شفاعتى يوم القيامة .

قال رجل يا رسول الله . إن الله تعالى يقول : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾

هذا السلام قد عرفناه ، فكيف نصلّى عليك ، قال ﷺ أن تقولوا :

« اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، اللهم بارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد » .

وقد أمرنا أن نسلّم عليه تسليما أى نسلّم عليه سلاما كثيرا ؛ فإذا ذهب المؤمن إلى المدينة المنوّرة ، وصلى فى الروضة الشريفة ذهب حيال القبر الشريف ووقف خاشعا مستحضرا تعظيم الرسول ثم يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبى الله.

فيهما فجاهد

روى البخارى ومسلم أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ يستأذنه فى الخروج للجهاد فقال له الرسول ﷺ :

أحى والدك ؟

قال : نعم .

قال : ففيهما فجاهد .

لقد أمر القرآن بالجهاد وحث عليه ؛ وبين فضل الجهاد وثواب المجاهدين وفى هذا الحديث الصحيح بيان لفضل رعاية الوالدين والعناية بهما ؛ وإكرام شيخوختهما ، والتواضع لهما ، واعتبار ذلك من ألوان الجهاد .

كان العرب فى الجاهلية يرحلون بحثا عن الكلأ والمرعى ، ويتركون كبار السنّ فى الصحراء يلقون مصيرهم المحتوم .

فلما نزل القرآن كرر الوصية بالوالدين ؛ وخص الأمّ بالمزيد من العناية والرعاية ؛ فهى قد تعبت فى الحمل والوضع والرضاع

والفطام والفصال ، والأم أكثر شفقة ؛ وأكثر رحمة .

والأم أحوج من الأب إلى نفقة الابن عليها ؛ والعناية بها وردّ الجميل إليها عند الكبر .

وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟

قال : أمّك .

قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمّك .

قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

فكرر لفظ الأم ثلاث مرات ليذكّر الإنسان بالجهود العظيمة ، التى بذلتها الأمّهات ، إذ أن شكر الأبوين من شكر الله وطاعته .

برّ الوالدين

قال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ؛ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ؛ ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا** ﴾ [الإسراء : ٢٣ ـ ٢٥] .

فى هذه الآيات توصيات إلهية بالوالدين خصوصا فى سن الكبر والجلال والشيخوخة ، وحث على إكرام الوالدين والتواضع لهما والدعاء لهما بالرحمة ؛ وإذا أساء الإنسان إساءة ؛ فى حالة غضب أو نزوة طارئة ، وجب أن يعود إلى مصالحتهما ؛ وطلب السماح والعفو والرضى منهما .

كما وصى القرآن بالأم خاصة فقال تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ...** ﴾ [لقمان : ١٤ ـ ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ﴾ [الأحقاف : ١٥]

إن هذه الوصايا الالهية نبراس يضىء ، ونور يهدينا إلى تماسك الأسرة وإكرام الوالدين ، والعرفان لهما بالجميل والوفاء .

صلة الرحم

قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يبسط له فى رزقه ، أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه » .

صلة الرحم مكرمة جليلة ، فيها طاعة الرحمن ، والتزام بهدى النبى ﷺ وإكرام للأقارب ، وأداء لحق القرابة فى المودة والرحمة والعطف ، يقول النبى ﷺ لما خلق الله الرحم تعلقت بساق العرش وقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة . فقال الله تعالى : أما ترضين أن من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته .

إن كل أسرة إذا تعاون فيها الأغنياء مع الفقراء بالمساعدة والعطف ، وما زاد انتقل إلى فقراء الآخرين ، وعمّ ذلك جميع الأسر ؛ أدى إلى الترابط والتكافل والتراحم ، وأداء حق القرابة .

وصلة الرحم وسيلة إلى مرضاة الله وبسط الرزق وزيادة

الخير ؛ وهى وسيلة من وسائل البركة فى العمر حتى يعمل الإنسان فى شهر ؛ ما لا يعمله غيره فى أشهر ؛ بسبب توفيق الله ومعونته ؛ وصلة الرحم سبب فى بركة الله فى الذرية حتى تنشأ ذرية صالحة ؛ تدعوا لابيها فى قبره فيرحمه الله كما ورد فى الأثر : إن الأجل لا يزيد ولا ينقص ولكن إذا رزق الله العبد ولدا صالحا يدعو لأبيه فتكون حياته فى القبر امتدادا لحياته فى دنياه ، والولد الصالح من عمل الإنسان .

وقد حث القرآن على أعمال البر وجعل فى مقدمتها بر الوالدين وصلة الرحم .

قال تعالى : **﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾** [النساء : ٣٦]

صلة الرحم وإن أدبرت

قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الناس : أطعموا الطعام وألينوا الكلام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » .

ويقول الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يألفهم فى الموطن الخشن

كانت أم هانىء بنت عمه أبى طالب حفية بالنبى ﷺ ؛ وعند

فتح مكة أجارت أحد المشركين وذهبت للنبى ﷺ تخبره بذلك فقال ﷺ :

قد أجرنا من أجرت يا أمّ هانىء .

وأكرم النبى ﷺ عمّه أبا سفيان عام الفتح .

فقال : من أغلق عليه داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن .

وقال ﷺ : صل أمك وأباك ، وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك ، أى صل أقاربك بحسب قرابتهم منك الأقرب فالأقرب .

وفى الحديث الشريف : « ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل هو الذى إذا انقطعت رحمه وصلها » .

الصبر

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها » .

ذكر الصبر فى كتاب الله أكثر من سبعين مرة ؛ وحث القرآن الكريم على الصبر والإيمان ؛ والرضا بالقضاء والقدر ؛ خيره وشره حلوه ومرّه ، قال تعالى : ﴿ **ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾.

ويقول ﷺ : نعم الأجران ونعمت العلاوة .

والأجران الصلوات والرحمة والعلاوة التوفيق للهداية والاستقامة والعمل الصالح والطريق المستقيم .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ما يصيب المؤمن من هم ولا حزن ولا تعب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه » .

والهم : القلق بشأن أمر فى المستقبل ، والحزن : الألم على أمر وقع فى الماضى .

والتعب : الكلام والنصب من العمل أو السفر ، والوصب : هو المرض ، ، أى أن البلاء الحسى والمعنوى إذا أصاب المؤمن كان تكفيرا لذنوبه ، ورفعا لدرجاته ، بشرط الصبر والإيمان .

سؤال

إذا صافح رجل امرأة هل ينتقض وضوءه ؟

الجواب :

ذهب بعض الفقهاء إلى أن لمس الرجل للمرأة ينقض الوضوء ، وهذا عند الشافعية .

وذهب المالكية إلى أن الرجل إذا قصد اللذة أو وجدها ينتقض وضوءه .

وأنه إذا لم يقصد اللذة ولم يجدها لا ينتقض وضوءه . وذهب الحنفية إلى أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء مطلقا . واستدل الجميع بقوله تعالى : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ .

قال الشافعية اللمس بالمصافحة يوجب الوضوء .

وقال الحنفية : اللمس هنا كناية عن المخالطة الخاصة بين

الرجل والمرأة أى أنه كناية عن الجماع ، لأن القرآن استخدم المسّ واللمس فى هذه المخالطة قال تعالى على لسان مريم البتول : ﴿ أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهنّ من قبل أن تمسُّوهن ﴾ .

وقد صحت الأحاديث النبوية على بقاء الوضوء بعد المس باليد ونحوها . وإن عدم نقض الوضوء بالمصافحة يتوافق مع يسر الشريعة وما ختمت به آية الطهارة : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ﴾ [المائدة : ٦] .

فقـــــه

ما حكم سجود التلاوة ، وما كيفيته ، وما حكمة مشروعيته .

سجود التلاوة سنة مؤكدة عن النبي ﷺ عندما يسمع المؤمن آية تأمره بالسجود أو تحث عليه أو تحذِّر من التكبر والامتناع عن السجود لله ، فإن المسلم يكبِّر ويتجه للقبلة ويسجد سجدة واحدة يقول فيها سبحان ربى الأعلى ٣ مرات .

ثم يقول : « سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته » .

ويجب ألا يكون جنبا ، كما يجب أن يكون متوضئا ؛ ثم يقول الله أكبر ويرفع رأسه من السجود ؛ دون تشهد ولا تسليم .

أما حكمة سجود التلاوة ، فهى سرعة الامتثال لأمر الله والاستجابة لنداء القرآن الكريم ، والاقتداء بالنبّى ﷺ حيث سجد

للتلاوة وسجد المسلمون خلفه عندما قرأ قوله تعالى : ﴿ **أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم ساجدون فاسجدوا لله واعبدوا** ﴾ [النجم ٥٩ ـ ٦٢] .

وكذلك بقية آيات السجدة فى القرآن وهى أربع عشرة آية مثل قوله تعالى : ﴿ **كلا لا تطعه واسجد واقترب** ﴾ [العلق : ١٩] .

ومثل قوله تعالى : ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض ..** ﴾ [الحج : ١٨] .

لا تسبُّوا الأموات

احترم الإسلام الموت ، وأمر بتكريم الموتى ، فهم قد رحلوا عن دنيانا وأفضوا إلى ما قدموا . قال ﷺ : « لا تسبُّوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » رواه البخارى.. أى لقد انتقلوا إلى جوار الله ، وهو حكمٌ عدلٍ يحاسبهم ويجازيهم ، قال تعالى :

﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] .

وقد بين القرآن الكريم أن الروح من أمر الله ، فهو سبحانه واهب الروح إلى الجسد ؛ وبيده مقاليد الأمور ، قال تعالى :

﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ؛ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ؛ ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ [المؤمنون ١٢ ـ ١٤] .

فالروح هيئة فى صورة الجسد ؛ تنتشر فى الإنسان انتشار

الماء فى العود الأخضر ، وإذا حلت فى الجسم تمّت له الحياة ؛ وإذا خرجت من الجسم ، أصبح ميتا ، والموت والحياة بيد الله وحده . قال تعالى : ﴿ **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** ﴾ [الملك : ١ ـ ٢] .

وجميع ما على وجه الأرض من مال وجاه وسلطان ، وأثاث ورياش هو مادة ذلك الاختبار ، قال تعالى : ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا** ﴾ [الكهف : ٧] .

كفى بالموت واعظا

يقطع الإنسان رحلة الحياة غاديا ورائحا ، فإذا انتهى الأجل وحضر الموت ، تقدم عزرائيل ملك الموت إلى الإنسان ، ومعه عدد من الملائكة هم أعوانه ومساعدوه ، وهم مكلفون بانتزاع الروح من الجسم قال تعالى : ﴿ **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون** ﴾ [الأنعام : ٦١] .

وربما كان حول الميت أقاربه وأحبابه ، ولا يستطيعون أن يعملوا له شيئا .

إن الطبيب له فى الطب معرفة   مادام فى أجل الإنسان تأخير
فإذا قضى الرحمان أيام مدّته   حار الطبيب وخانته العقاقير

والروح تصعد إلى الله تعالى ، فإن كان صاحبها ، طائعا لله تعالى ؛ مستقيما على الجادّة ؛ مؤديا للفرائض ؛ ملتزما بأداء الواجبات ؛ منتهيا عن المحرمات .

فإن روحه تصعد إلى السماء ، ولها رائحة طيبة ، فيسأل الله تعالى وهو أعلم ؛ فيقول : يا ملائكتى ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فيقولون يا ربّنا روح فلان ابن فلان ؛ خرج من الدنيا على شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . فيقول الله تعالى يا ملائكتى : اكتبوا روح عبدى فى عليين ، ثم ارجعوه إلى الأرض فمنها خلقته ، وإليها أعيده .

قال تعالى : ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين ، فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم ..** ﴾
[الواقعة : ٨٣ ـ ٩٤]

ظن السوء

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذب الحديث » .

المراد بالظن هنا أن تظنّ السوء بالناس من غير أدلة حقيقية ؛ فالمؤمن حسن الظن بالناس والعباد ، والأساس العام هو الثقة بالمؤمن ، وعدم ظن السوء به .

فالمجتمع الإسلامى مجتمع متماسك مترابط ، تسود بين أفراده المودة والمحبة ، ويبتعد المؤمنون عن الإيذاء والسخرية والاستهزاء بالآخرين ، ويتنزهون عن الهمز واللمز ؛ والغيبة والنميمة ؛ والفتنة بين الناس .

ولا يجوز أن نتتبع عورات الآخرين ، أو نتجسس عليهم ، أو نتتبع سقطاتهم ، أو نظن بهم ظن السوء .

وظن السوء هو اتهام الناس ، وتتبع سقطاتهم ، وكشف عوراتهم ، والتحدث عنهم بالغيبة والإيذاء .

أما الظن الحسن ، فهو الذى يستغله المؤمن فى فهم آية أو شرح حديث أو استنباط حكم فقهى ، أو دليل شرعى .

ومن الظن الحسن أن أستنبط أحوال العدوّ ، وأتعرف على نيته ؛ وأستنبط معلومات عنه ، فهذا ظن حسن ؛ لأن تحركات العدوّ واستحكاماته وتدريباته ؛ ينبغى أن استنبط منها ما يناسبنى ؛ وأن أظن به الظن المناسب؛ فهذا ظن حسن أثاب عليه .

والخلاصة أن علينا أن نظن الخير بالمسلمين والمتقين ، أمّا الأعداء فينبغى أن نأخذ الحذر منهم ، وأن نظن بهم الظن الذى يناسب أعمالهم ، حتى لا تؤخذ على غرّة ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾ [النساء : ٧١] .

لا تقسم بأن الله لن يغفر لفلان

روى مسلم فى صحيحه : « قال رجل والله لا يغفر الله لفلان ؛ فقال الله عز وجل من ذا الذى يتألى علىّ ألا أغفر لفلان ، إنى قد غفرت له ؛ وأحبطتُ عملك » .

فتح الله أبواب مغفرته ورحمته بعباده قال تعالى: ﴿ **إن الله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[النساء:١١٦]

وقد علّمنا الإسلام آداب الدعاء وآداب التوبة، من ذلك الندم على المعاصى ؛ والاقلاع عن الذنب ؛ والعزم على ترك المعاصى فى المستقبل؛

واليقين فى فضل الله وعظيم رحمته ؛ وقد رأى رجل من المسلمين أخاه على ذنب يفعله فأقسم أن الله لن يغفر له ، مستعظما للذنب .

وهنا يظهر فضل الله العظيم ؛ حين قال : أين الذى يقسم ويحلف علىّ بأنى لا أغفر لهذا العاصى .

إنى قد غفرت لهذا العاصى ، ومنحته توبتى وهدايتى وتوفيقى ؛ وأحبطتُ عمل هذا الحالف ؛ فلم يكن موفقا حين حلف أن الله لن يغفر لفلان ،[يقال آلى إيلاء وتألّى وإئتلى بمعنى أقسم].

والمغفرة والتوبة والهداية كلها ألطاف إلهية ومنح ربانية ؛ يشمل الله بها عباده فى لحظة من لحظات الرضا ؛ فى ليل أو نهار؛ فليس لأفضاله حدود ، وهو سبحانه يمن بالخير ؛ ويتوب على عباده ليوفقوا فى توبتهم قال تعالى : ﴿ **ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم** ﴾ [التوبة : ١١٨] وقال عز شأنه : ﴿**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ [الزمر : ٥٣]

التحذير من ثلاثة
خُلف العهد ، وبيعُ الحر ، وظلم الأجير

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » .

الله تعالى خصيم الظالمين والكافرين ؛ وسائر العصاة

والأشقياء ؛ لكنه ذكر هنا أنه يكون خصما لهؤلاء الثلاثة للاهتمام بأمرهم ؛ وللتحذير من الانخراط فى سلكهم ، وللتنبيه إلى خطورة أعمالهم .

الرجل الأول : أعطى عهد الله وميثاقه أن يلتزم بأمر من الأمور ؛ مثل البيع والشراد ، وعقد الزواج وعقد الشركة وأشباه ذلك ، فقال مثلا عهد الله عليَّ أن التزم لزوجتى بسداد المهر ، وحسن المعاملة ، وأن أتمم لها النفقة والكسوة ؛ والعشرة بالمعروف ؛ فلما تم الزواج ، وانتقلت الزوجة إلى بيته ؛ لم يوفِّ لها بما عاهد الله به .

فالله تعالى يكون خصمه يوم القيامة ، ويطالبه بحقوق الزوجة، ويعاقبه على عدم الوفاء بعهد الله الذى أعطاه لزوجته ، ثم غدر وخان العهود .

والرجل الثانى : رجل باع حرا فأكلَ ثمنه ، ادَّعى أن هذا الطفل مثلا ؛ رقيقا عبدا فباعه بيع العبيد ؛ واستباح لنفسه أن يأكل ثمنه ؛ وينتفع به وهو مال حرام ، وقد ألغى الرِّق مدنيا ودينيا ، ويطلق الآن على أكل أموال الناس بالباطلَ ، وبيع اللحوم الفاسدة ، والبضاعة المغشوشة ؛ وكل تجارة ضارة كالسموم والمخدرات ؛ التى تؤذى الشباب وسائر المواطنين .

والرجل الثالث : هو الذى يستأجر أجيرا ليعمل له عملا فى بيته أو حقله ؛ أو مصنعه أو دراسته ، ثم يؤدى الأجير عمله كاملا ويمتنع صاحب العمل عن الوفاء له بأجره ؛ فقد أكل عرق الأجير وفى الحديث الشريف : « أعطو الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقه» .

إنما المؤمنون إخوة

إخوة المسلمين ومحبتهم وترابطهم سمة من سمات الإسلام وآية من آيات الله تعالى فى توحيدهم وجمع كلمتهم قال تعالى : **﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾**[الأنفال:٦٣]

وقد وصف الله المؤمنين بصفات المودة والرحمة والتعاون والإيثار والامتثال لأمر الله وطاعته ، قال تعالى : **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** [المائدة :٢]

وقال سبحانه وتعالى : **﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾** [الفتح : ٢٩] .

وحين هاجر المسلمون إلى المدينة المنورة ، آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وظهرت آثار ذلك فى تدعيم الوحدة وقوة الصف ، وتماسك الدولة الإسلامية قال تعالى :

﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر : ٩] .

لقد وقف الأنصار موقفا كريما ، فواسوا المهاجرين ؛ وقاسموهم دورهم وبيوتهم وأموالهم ، وأشعروهم بدفء الأخوّة ؛ ومحبة الإيمان ، وبذلك نجحت الدولة الإسلامية ، وسطع نورها فى المشارق والمغارب ، وتقدم المسلمون ؛ تحدوهم عناية الله وحب رسوله ، قال تعالى : **﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾** [آل عمران : ١١٠]

آفة الخصام

الإسلام دين الوحدة والجماعة ، وقد حث القرآن على وحدة الصف ونهى عن الخلاف والفرقة قال تعالى :

﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

فطاعة الله اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ؛ وطاعة الرسول ﷺ في التمسك بسنته والاقتداء به .

والتنازع والخلاف والتخاصم من أسباب فشل الأمة ؛ وضعف شأنها ؛ وهوان أمرها .

قال رسول الله ﷺ : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » .

فالمؤمن سهل هين ؛ سليم القلب ، طاهر النفس ، يألف الصفح والعفو ؛ وهو بعيد عن البغضاء والحقد والحسد ؛ لا يميل إلى القطيعة والتدابر ، وإنما يميل إلى صلة الرحم ، ومقابلة الإساءة بالإحسان .

فالخصام آفة تفسد المودة ، وتعمّق البغضاء والكراهية ، وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ؛ وأكملهم تواضعا وعفوا .

ولا يجوز أن يتقابل المسلمان فيعرِض هذا عن صاحبه ؛ ويعرض هذا عن صاحبه ، وخيرهما وأقربهما إلى الله الذى يبدأ صاحبه بالسلام .

تلك سنة الإسلام في جمع الكلمة وتوحيد الصف ، والقضاء على أسباب الفرقة والخلاف ؛ والحث على التعاون والتراحم والتعاطف ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

حسن المعاملة

روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه » .

وقال تعالى : ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

وحديث النبى ﷺ يرشدنا إلى هذا الطريق ، طريق البعد عن النار ، ودخول الجنة وهذا الطريق يحتاج إلى أمرين :

الأمر الأول : الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ؛ واليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء عادل ، قال تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] .

أما الأمر الثانى : فهو أن تعامل الناس بما تحبّ أن يعاملوك به ، أنت تحب أن يعاملك الناس بالصدق والأمانة والوفاء بالعهد ، والالتزام بالعمل ، وعدم الغش وعدم الكذب ، فعليك أن تلتزم بكل الصفات الحميدة مع الناس ، بحيث تكون صادقا أمينا وفيا بالعهد ، ملتزما بأداء العمل على النحو المرضى .

وعليك أن تكون مبتعدا عن الغش والكذب والنفاق ؛ والخديعة والكبر وقول الزور ؛ وسائر المخالفات ؛ وبذلك نجد مجتمعا مثاليا ؛ يقوم على أداء الأمانة والعمل النافع ؛ والوفاء والصدق والبرّ ؛ والتراحم والتكافل والتعاون ؛ كل فرد فيه لبنة نافعة ؛ راغبة فى الخير بعيدة عن الشر ، كل فرد فيه يعامل الناس بحب وصدق ، ويعمل معهم ما يحبّ أن يعملوه معه .

المسلم والمهاجر

قال رسول الله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » متفق عليه .

هذا الحديث الشريف ، يترجم الإسلام إلى سلوك عملي ؛ فالمسلم حقا ، هو الذى يعمل بمقتضى أوامر الإسلام ؛ فلا يشتم الناس ولا يجرحهم ، ولا يطلق لسانه بالغيبة أو النميمة ، ولا يقول الكذب ؛ ولا يشهد الزور ؛ ولا يسارع إلى قول الاثم والباطل .

وإنما لسانه صامت إلاّ من الحق ، أو ذكر الله أو تلاوة القرآن ؛ أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ أو سائر ضروب الخير ؛ والمؤمن حقا؛ لا يؤذى عباد الله بيده ؛ فلا يتطاول بالضرب أو الإيذاء ؛ أو القتل أو كتابة الشكاوى الكيدية ، أو تلفيق التهم الباطلة ، وبذلك يكون سلوك المسلم ؛ سليما ونفعا ؛ ورحمة بالعباد ؛ وهو فى نفس الوقت ؛ قد صان لسانه ويده عن الإيذاء والفساد ، وسعى فى الخير والمنفعة .

والمهاجر هو فى العُرف ، من هاجر من وطنه ابتغاء مرضات الله ؛ وثوابه عند الله عظيم .

ومن أعظم الهجرة ؛ أن نهجر المعاصى ؛ وأن نهجر القتل والشرك والكفر ، والزور والبهتان ، وأن نبتعد عن عقوق الوالدين؛ والسحر واليمين الغموس ، وعن اتهام الناس بالباطل ، فهذه هجرة معنوية ؛ تقوم على ابتعاد المؤمن عن كل معصية ؛ أو مخالفة لله ، فالمهاجر حقا من هجر ما نهى الله عنه ، وبذلك يسلم دينه وعرضه ، قال ابن عباس : « إن للمعصية ظلمة فى القلب ، ونقصا فى الرزق ، وبغضا فى قلوب الخلق » .

التعـــاون

الإسـلام يدعونـا إلى التعـاون والتكافل والتـراحم والتناصـر ويحذِّرنـا من الخلاف والفـرقة والتشـرذم والتبـعثـر ؛ والتكامل الإسلامى يحقق للمسلمين أهدافا متعددة :

١ – من هذه الأهداف وحدة الأمة واتحادها وقوتها وتناصرها، قال تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

٢ – التعاون على البـر والتقوى ، وتبادل المنافع ؛ ومـدّ جسور التعاون الثـقافى والدينى ؛ والتجارى والرياضى والسـياسى؛ قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ... ﴾ [المائدة : ٢] .

٣ – إحـساسنـا بآلام بعضنـا وآمال بعـضنـا ، وزيادة الألفـة والمودة بين المسلمين ، وتقويـة الروابط قال ﷺ : « ترى المسلمين فى توادّهم وتراحـمهم وتعاطفـهم كمـثل الجسد إذا اشـتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى » .

٤ – نحن فى عصر التكتلات الـدولية ، ونرى أمما غيرنا تكوّن أحتادا دوليا ، على مـا بينها من تفاوت كبير واختلافـات متعددة ؛ فـأولى بنا نحن المسلمـين ، أن يقبل بعـضُنا بعـضا ، لأن القـبلة واحدة وهـى الكعبـة ، والكتاب واحـد وهو القرآن ، والنبى واحـد وهو محـمد ﷺ ؛ والدين واحد وهو الإسـلام ، وروح الدين تحثنا على الوحـدة ، فـالاتفـاق بيننا أكـثر من الاخـتـلاف ؛ ومن تراث علمائنا « نتـعاون جميعـا فيما اتفـقنا عليه ، ويعذر بعضنـا بعضا فيما اختلفنا فيه » والله ولى التوفيق .

علماء الدّين

العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورِّثوا درهما ولا دينارا، وإنما ورّثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر من شرف الدنيا وسعادة الآخرة .

العلماء هم الصفوة الممتازة التى تسهر فى طلب العلوم ؛ وتجدٌ وتجتهد فى دراسة أمراض الأمة ، وتشخيص العلل وتقديم وصف الداء ؛ وقارورة الدواء .

العلماء مسئولون أمام الله تعالى ، عن دراسة الفقة والتفسير والحديث والتشريع والفتوى ، وعن دراسة العلوم المعاصرة مثل علم النفس والاجتماع والتاريخ والجغرافيا السياسية ؛ وشئون البيئة والسكان ؛ فينبغى للمؤمن أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه .

يقول الإمام الشافعى :

سهرى لتسطير العلوم ألذُّ لى   من وصل غانية ولمس عناق
وتمايلى طربا لحلّ عويصة   أحلا وأغلا من مدامة ساق
أأبيت سهران الدُّجى وتبيته   نوماً وتبغى بعد ذاك لحاق

إن العلماء فى سباق مع الزمن ، من أجل استيعاب تراثهم وثقافة العصر ؛ ومن أجل توجيه المسلمين إلى وحدة الصف ؛ وجمع الشمل وتحرير الإرادة ، واحراز قصب السّبق ؛ فى دراسة العلوم والمعارف ، والتقنية والإبتكار والاختراع ، من أجل التواصل والتعارف والتسامح ؛ وترك التنازع والاختلاف على حد قول الشاعر :

يمينا لو يمينك فى يمينى   لقبّلت الشعوب لنا يمينا

التراث والمعاصرة

الإسلام يدعونا إلى العمل والأمل ؛ والتقدم والتحضّر؛ ويحذّرنا من التهاون والتراخي والإهمال والكسل ؛ ونحن نعترف أن لنا ماضيا مشرقا ، وأمة إسلامية استوعبت وحي السماء ، ورسالة الإسلام ، وتوجيه النبى محمد ﷺ ، وتفاعلت مع الهدى الإلهى ؛ والتوجيه النبوىّ ، فاستعادت أمجادها ، وطهّرت نفوسها ؛ وأصبحت خير أمة أخرجت للناس ، ومكّن الله لها فى الأرض ، فشرّقت وغرّبت وانتصرت ؛ وأحرزت عزّ الدنيا وشرف الآخرة .

ونعترف بأن هذه المرحلةالزاهرة من التقدم والإبداع ؛ أعقبها ليل طويل من التقليد والجمود ؛ والتبلّد والتأخر ، وامتدت هذه الفترة قرابة ألف عام ؛ ونعترف كذلك بأن نهضة علمية ثقافية أدبية روحية ؛ قد سرت فى أوصال العالم الإسلامى ، وتنادى الغيورون ببعث الثقافة الإسلامية الأصيلة ، والاستفادة من التقدم العلمي والتقنية والاختراع ، فالحكمة ضالة المؤمن ؛ أنّى وجدها فهو أحق بها .

إننا كمسلمين يجب أن نحرر سطورا ؛ فى كتاب الحضارة الإنسانية ؛ يجب أن يوجد بيننا المبتكر والمخترع ؛ والعالم المبدع ، والغطاس البارع ، والمهندس المجتهد ؛ والإنسان المتحضر ؛ الذى يدرس ثقافة الإسلام دراسة أصيلة ، ويمتد أمله ليحيط بثقافة العصر وآدابه وعلومه وفنونه .

أضرار التدخين

تكلم العلماء والخبراء والمختصون فى العالم كله عن أضرار التدخين ؛ وظهرت حملات من أطباء متخصصين تذكّر الناس بآفات التدخين ؛ وآثاره السيئة ؛ على القلب والرئتين والشرايين ؛ وسائر الأجهزة ، فالتدخين يضرّ الإنسان ؛ ويضر أسرته وأبناءه والقريبين منه . والتدخين عدوان على أنفسنا ؛ وعلى الجنين فى بطن أمّه ؛ وعلى زوجة المدخن وأبنائه وأهل بيته .

والله تعالى يقول : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾
[البقرة : ١٩٥]

ويقول تعالى : ﴿ **قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** ﴾ [المائدة : ١٠٠] .

أيها الأحباب : بالإرادة والعزيمة والإيمان بالله ، نستطيع أن ننتصر على التدخين ، وأن نحرر أنفسنا من هذه العادة الضارّة ؛ التدخين سبيل الحشيش والهيروين والكوكايين ؛ والأقراص المصنعة وسائر المخدرات التى ينحدر الإنسان إليها من بوابة التدخين .

أمتنا فى حاجة إلى شباب قوى ورجال أقوياء ؛ ونساء أصحّاء ؛ وفتيان جادين ؛ راغبين فى العمل والأمل ، فلنتعاون جميعا على البر والتقوى .

ولنضع أيدينا فى يد الله ، تائبين من التدخين ؛ راجين من الله قبول توبتنا ؛ وتوفيقنا لأن نكون سعداء فى الدنيا والآخرة .

حكم التـدخين

أيها الأحباب : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لم يظهـر الدّخان فى صـدر الإسـلام ، ولا فـى عـصور الأئمـة المجتهدين .

وإنما ظهر من مدة أربعمائة سنة تقريبا .

وتكلم علماء العصـر الذى ظهر فيه الدُّخـان عن حُكمه ، فمنهم من قال إنه حلال ، نظرا لأنه لم يفسد عقل الشارب للدُّخان ، فقال الأصل فى الأشياء الإباحة .

وفريق ثان قـال إن الدخان فـيه سمـوم بطيئة ؛ تصـيب القلب والرئتـين ، وتؤثّر فى الصحـة العامة لـلإنسان ؛ وتنشـر الضرر البليغ فى الصحة والمال .

والأصل فى الدين أنه لا ضرر ولا ضرار .

فما كثر ضرره وجب تركه .

وفريق حكم بأن الدخـان مكروه ؛ فإذا كثر ضـرره على صحة شخص أو ماله صار حراما ، وإذا خف الضرر صار مكروها .

أيها الأحباب : إن ضرر الدّخان شديد ، على الأحداث والفتيان ؛ لأن أجهزتهم غضة ، تقبل التأثر أكثر من أجهزة غيرهم ، ولا تقدر على مكافحة هذا السُّم البطىء .

ونحن نهيب بالآباء والقـدوة ؛ أن يتّقوا الله فى أنفـسهم ، وفى الشبـاب والأحداث ، وأن نتعـاون جميعـا على مكافحة التـدخين ؛ والتحـذير منه ؛ والإقلاع فورا عن هذه العـادة الضارّة ، والله ولى التوفيق .

من كلام الأئمة :

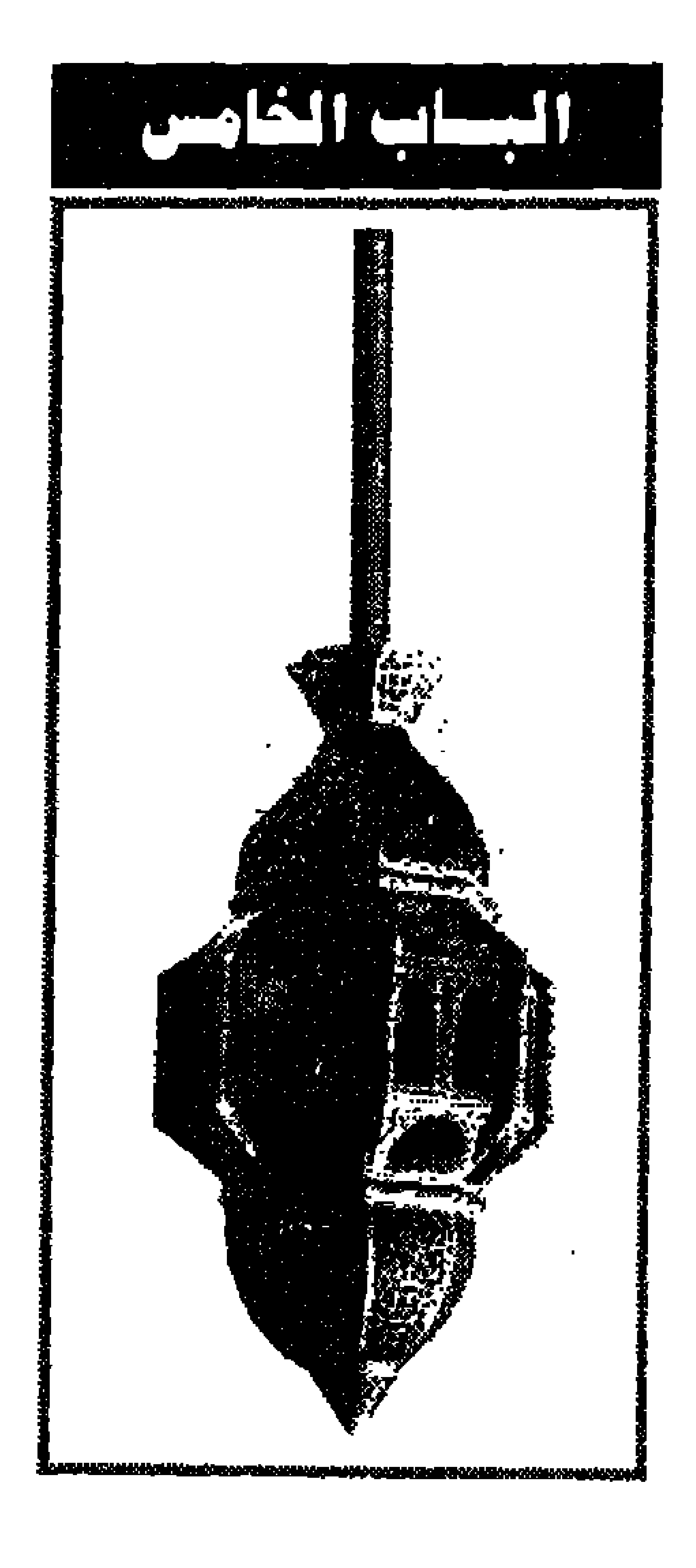
يقول الإمام الشيخ محمود شلتوت فى كتاب الفتاوى :

« للتدخين آثار ضارة على الصحة ، ففيه عنصر سام ؛ يقضى ـ وإن كان ببطء ـ على سعادة الإنسان وهنائه ؛ وإذن فهو ولا شك أذى وضار ، والإيذاء والضرر خبث يحظر به الشئُ فى نظر الإسلام ؛ وإذا نظرنا مع هذا إلى ما ينفق فيه من أموال ، كثيرا ما يكون شاربه فى حاجة إليها . أو يكون صرفها فى غيره أنفع وأجدى .

إذا نظرنا إلى هذا الجانب عرفنا له جهة مالية ، تقضى فى نظر الشريعة بخطره وعدم اباحته .

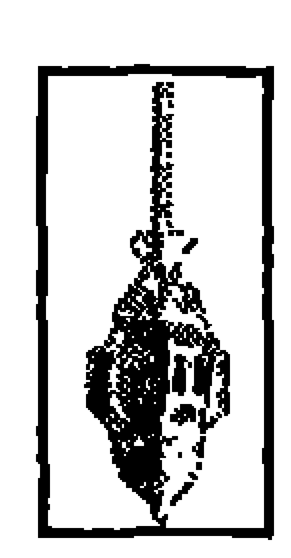
ومن هنا نعلم ـ أخذا من معرفتنا الوثيقة بآثار التبغ السيئة ؛ فى الصحة والمال ـ أنه مما يمقته الشرع ويكرهه ، وحكم الإسلام على الشىء بالحرمة أو الكراهة ؛ لا يتوقف على وجود نص خاص بذلك الشىء ؛ فلعلل الأحكام وقواعد التشريع العامة قيمتها ، فى معرفة الأحكام ، وبهذه العلل وتلك القواعد ، كان الإسلام ذا أهلية قوية فى إعطاء كلِّ شىء يستحدثه الناس حُكْمَهُ من حل أو حرمه ، وذلك عن طريق معرفة الخصائص والآثار الغالبة للشىء ، فحيث كان الضرر كان الحظر ، وحيث خلص النفع أو غلب كانت الإباحة ، وإذا استوى النفع والضرر ؛ كانت الوقاية خيرا من العلاج » .

انتهى كلام الإمام ، وبقى أن نستجيب لرغبته وأمله ؛ فنطهِّر أفواهنا وأجسامنا وقلوبنا من التدخين ، وأن نملأها بذكر الله ؛ وطاعته وتقواه : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [الطلاق : ٢ ـ ٣] .



(أ) تفسير آيات من سورة الزمر

(ب) أسئلة وأجوبة



(أ) تفسير آيات من سورة الزمر

سبحان الخالق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى : ﴿ **خلق السموات والأرض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمّى ألا هو العزيز الغفور** ﴾ [الزُّمر : ٥]

الله تعالى خلق الكون بقدرته وحكمته ، وخلق السموات والأرض بالعدل والصواب ؛ ليعمر الكون ويستفيد الإنسان والحيوان ، ويستتب العمران .

ومن رحمة الله تعالى وجود الليل والظلام ، ليستريح الناس وينامـوا ، ووجود النهار ليعمل الناس وينشطوا ؛ والليل يتابع النهار بظلامه فيغطيّه ، ثم يتابع النهارُ الليل ؛ فى حركة مستمرة لا تتخلف ، قال تعالى : ﴿ **يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر** ﴾ [المدَّثر : ٣٣-٣٥] .

وقد سخر الله الشمس والقمر وذللهما ؛ فالشمس تجرى نهارا

من المشـرق إلى المغرب ؛ فـتمـدّ الكون بالنور والضيـاء ، والدفء والطاقة والعديد من المنافع .

وجعل الله القـمر نورا للظلام ؛ وسـبيلا إلى مـعرفة الحـساب والعدد ، وحركـة الشمس والقمر مـستمرة إلى يوم القـيامة ؛ هذا النظام البديع بقدرة الله العزيز الغالب ، الغنى عن الشريك والمثيل ، وهو سبحانه وتعالى غفـور للتائبين يقبل توبتهم ويغفر ذنوبهم : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

الله غنى عن عبادتنا

قال تعـالى : ﴿ **إن تكفـروا فـإن الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعـباده الكفـر ، وإن تشكروا يرضـه لكم ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ثم إلى ربكم مرجعكم فـينبئكم بما كنتم تعملون ، إنه عليم بذات الصدور** ﴾ [الزُّمر : ٧] .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفـقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد** ﴾ [فاطر : ١٥] .

خلق الله تعالى الخـلق غير مـحتاج إلى أحـد منهم ، لكن الناس فى أمسّ الحاجـة إلى فضل الله ورضوانه ، وفى الحـديث القدسى يقـول الله عـز وجل « يا عـبـادى لو أن أولكـم وآخـركم وإنسكم وجنكم كـانوا على أتقى قلـب رجل واحـد مـازاد ذلك فـى ملكى شيـئا ، ولو أن أولـكم وآخركم وإنسكم وجنكم كـانوا على أفـجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا » .

والله تعـالى لا يرضى لعـبـاده الكفـر ، رأفـة بهم ورغـبـة فى هدايتـهم ؛ وإذا شكر المؤمن ربه ، رضى عنه وبارك لـه ، وألهمـه التـقوى وزاده من نعـمه ؛ قال تعـالى : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم**

ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [ابراهيم: ٧] .

ومن عدالة الله أن كل إنسان يتحمّل مسئولية عمله ، ولا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى ﴿ **كل امرىء بما كسب رهين** ﴾ [الطور : ٢١] وسيعود النّاس إلى ربّهم ، عند الموت والبعث والحشر والجزاء ، فيخبرهم بما عملوا ، ويجازيهم على الإحسان إحسانا ، وعلى السوء سوءا ؛ فإن الله تعالى مطّلع على ما تكنه السرائر ؛ وما تخفيه الضمائر ؛ وفيه تهديد للعاصي وبشارة للطائع .

التعرف إلى الله في الشدّة والرخاء

قال تعالى : ﴿ **وإذا مسّ الإنسان ضر دعا ربّه منيبا إليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبلُ ، وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار** ﴾ [الزُّمر :٨] .

من شأن الإنسان أن يلجأ إلى الله في البأساء والضراء ؛ حتى الكافر تراه يعبد الصنم أو الوثن ؛ أو آلهة باطلة أخرى ؛ فإذا اشتد الكرب وتوقع المكروه ، دعا الله وحده منيبا ومخلصا إليه .

ثم إذا أعطاه الله النعمة والمال ، والصحة والعافية ؛ نسي الدعاء السابق ، ونسي الإله الذي أخلص له الدعاء ، ونسي حالة التضرع والإنابة لله وحده ؛ وتوجّه إلى الأصنام والأوثان ، أو اتجه إلى الضلال والهوى ، وهنا يجبه الإنسان هذا الكافر ؛ ويبين له أن متاع الدنيا قليل ؛ وفي الآخرة حساب وجزاء ؛ وجنة أو نار .

وقد استظهر بعض المفسرين أن المراد بالإنسان هنا جنس الكافر ، وقيل المراد بالآية عتبة بن ربيعة وأبو جهل ؛ والعبرة هنا

بعمـوم اللفظ لا بخصـوص السبب ، فـالإنسان أيّ إنســان شديد التضـرع إلى الله وحده ؛ عند البلاء والشـدة أو المرض والخوف ؛ وعند النعـمة والرخاء ينســى ربّه وخالقه ، والمؤمن يـذكر ربّه فى الشدة والرخاء .

التقـــــوى

قـال تعالى : ﴿ قل يا عـبـاد الذين آمنوا اتقـوا ربكم للذين أحسـنوا فى هذه الدّنيا حـسنة وأرض الله واسعـة إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزُّمر : ١٠] .

أيها العـباد المؤمنون اركنوا إلـى تقوى الله تعالى ومـراقبـته ؛ والتـقوى هى الخـوف من الجليل ، والعمل بالتنـزيل والاستـعداد ليوم الرحيل .

وقـيـل التقـوى : هى ألاّ يراك حـيث نهاك ، ولا يفـقدك حـيث أمرك .

وقيل التـقوى : عـمل الطاعات ، والبعـد عن المحرمـات ، وكلّها تلتـقى على مـراقـبة الله وتعظـيمـه ، والتـقـرب إليه والبـعـد عن مخالفته .

وقد وعد الله المحسنين ، الذين يحـسنون عملهم ويتقنونه ؛ بأن يحـسن إليهم فى الـدنيا ، وقـيل المعنى لمن أحـسن عمله ؛ حـسن الجزاء فى الآخرة .

والأفـضل أن يقـال . الذين أحـسنوا لـهم حـسنة فى الدنيـا ؛ بالنجاح والفلاح ؛ وحسنة فى الآخرة بالثواب ودخول الجنة .

وقد نزلت الآية فى جعفر بن أبى طالب وأصـحابه ، حين عزموا على الهجرة إلى الحبشة ؛ فنزلت الآية تحثهم على الهجرة ؛ وتبيّن

أن أرض الله واسعة ؛ فهاجروا فيها ، والله تعالى جعل للصابرين والثابتين على البلاء ثوابا كبيرا ؛ لا مثيل له ولا نظير ؛ فيصب عليهم الأجر صبا فى الجنة .

المثل الأعلى

قال تعالى : ﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب** ﴾ [الزُّمر : ١٧ - ١٨] .

من صفات المؤمنين البعد عن عبادة الشيطان ، وعن طاعة الهوى وعن كل ما يغضب الله .

ومن شأن المؤمنين الإنابة إلى الله وعبادته ، والإخلاص فى طاعته .

وهؤلاء لهم البشرى بأن يحفظهم الله فى ذرياتهم وأهليهم ؛ ولهم البشرى بالجنة فى الآخرة والثواب الجزيل .

والمؤمنون متميزون فى بصيرتهم ، متذوقون للحسن والأحسن ؛ والرديء والجيد ؛ فإذا استمعوا كلاما أو حديثا أو خطبة أو مقالة ؛ ميَّزُوا بين الخبيث والطيب ؛ واختاروا الطيب وتركوا الخبيث ؛ أو هم يتناسون الخبيث ، ويتبعون الحسن والأحسن ؛ أو يستمعون إلى أوامر الله فيتبعون أحسنها ، مثل القصاص والعفو ، أو إظهار الصدقة وإخفائها .

هؤلاء المنصفون ، المتصفون بالصفات الجميلة ، والسلوك الأمثل ؛ هم الذين هداهم الله لمعرفة دينه ، وهم أصحاب العقول السليمة ؛ والقلوب الطاهرة .

حياة الزرع والإنسان

قال تعالى : ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يجعله حطاماً ، إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب** ﴾.[الزُّمر : ٢١] .

سبَّب الله الأسباب ؛ وأوجد التكامل والرعاية والحفظ لهذا الكون ؛ على مرور بلايين السنين .

فسخر الشمس ترسل أشعتها على المحيطات ؛ فيتصاعد البخر إلى السماء ، فيسوق الله السحاب ، وينزل المطر فمنه ما يظل على وجه الأرض ، فيكوِّن الأنهار ؛ كنهر النيل ودجلة والفرات وغيرها.

ومنه ما يسلك طريقه إلى الأرض ، فيكوّن الينابيع والعيون ؛ وبهذه الينابيع يسقى الناس الزروع ؛ المختلفة الألوان ، فمنها الأحمر والأصفر والأبيض ؛ والمختلفة الدرجات كالأحمر القانى والفاتح والمتوسط ، والمختلفة الأنواع كالذرة والقمح والشعير والأرز ؛ والقثاء والورود والخضراوات وغيرها .

وهذه الزروع تنبت صغيرة ثم تنمو وتخضّر وتبلغ ذروتها ؛ ثم تذبل وتصفّر ثم تتكسر وتصبح حطاما ؛ وفى ذلك ذكرى لأصحاب العقول ، فكذلك الإنسان يولد صغيرا ثم يصبح فتى ؛ ثم شابا ثم شيخا ؛ ثم يموت ثم يبعث ويحاسب ويلقى جزاء عمله ..

الهدى والنور

قال تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال**

مبين ، الله نزَّل أحسن الحديث كتابا متشابهـا مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربّهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ [الزُّمر : ٢٢-٢٣] .

إذا رغب المؤمن فى الخير وطاعة الله واجتناب المعاصى ، حلّت عليه بركة الله ومعونته ، فرغب فى ثواب الآخرة . وأعرض عن الحرام ، وأكثر من ذكر الله ، وتلاوة كتابه ؛ قال رسول الله ﷺ :

« إن النور إذا دخل القلب اتسع له الصدر وانشرح ؛ قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة ؟

قال نعم : التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت » ، ثم تلا قوله تعالى : **﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه ﴾** [الزُّمر : ٢٢]

أمّا العاصى والفاجر ، فترى قلبه قاسيا ، لا يبضّ بقطرة من الرحمة ، فهو معرض عن ذكر الله وهدايته..

قال مالك بن دينار : ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم . وفى الحديث القدسى: « اطلبوا الحوائج من السمحاء فإنى جعلت فيهم رحمتى ، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإنى جعلت فيهم سخطى».

هداية القرآن

أنزل الله القرآن فى السماء ، وجعله آخر الكتب السماوية ؛ مشتملا على العقائد والآداب ومكارم الأخلاق ، وأخبار المرسلين وقصص السابقين ؛ ولفت الأنظار إلى الكون وما فيه ، من أرض

وسماء ، وليل ونهار وشمس وقمر ؛ وفضاء وهواء ، وإنسان وحيوان ؛ وزرع وثمار ؛ وتحدث القرآن عن اليوم الآخر ؛ وما فيه من حساب وجزاء ؛ وجنة أو نار .

والقرآن الكريم يُشْبِه الكتب السماوية السابقة فى الأهداف والمقاصد ؛ وقد تكرر فيه القصص والإخبار ؛ والعظة والتوجيه ، كما قارن القرآن بين عذاب النار وأهواله ، وبين نعيم الجنة وما فيها من خيرات ورضوان ؛ ليحرِّك القلوب نحو طاعة الله ، والامتثال لأمره ؛ والمحافظة على العبادات وإحسان المعاملات .

ومن شأن المؤمنين أن يشعروا بالخشية والخوف من عذاب الله وغضبه .

وأن يشعروا بالرضا والسرور من عظيم رحمته وفضله ؛ تلك هداية الله للمتقين ، ورحمته بالمؤمنين ، وصدق الله العظيم : ﴿ **الله نزَّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** ﴾.

وعن العباس أن رسول الله ﷺ قال : « إذا اقشعر جلد المؤمن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه ؛ كما يتساقط عن الشجرة البالية ورقها » .

(ب) أسـئلة وأجـوبة

● ما السبب في الأمر بالتعجيل بصلاة عيد الأضحى ؟ وتأخير صلاة عيد الفطر ؟

- حتى يخرج المصلون ليذبحوا أضحيتهم في وقت مبكر في عيد الأضحى ؛ كما يسنّ تأخير صلاة عيد الفطر ؛ حتى يؤدي زكاة الفطر ، من لم يؤدّها قبل صلاة عيد الفطر .

● أنا أعيش في بلد مستوى المعيشة فيه مرتفع ؛ ويقلّ أو يندر أن يكون فيه فقير يستحق الزكاة .. فهل يجوز أن أدفعها إلى أقاربي المحتاجين في بلد آخر ؟

- نعم يجوز ذلك ، قال الفقهاء : الأصل في زكاة المال أنها تكون حيث يكون المال . إلا إذا كان الناس في بلد آخر أشدّ فقرا ؛ أو أقارب فيجوز نقل الزكاة إليهم ؛ علما بأن الزكاة لا تدفع للآباء ولا للأبناء ؛ وإنما تدفع للأخوة والأقارب الفقراء .

● ما هي الأوقات التي لا يجوز فيها شرعا الاتصال الجنسي بين الرجل وزوجته ؟

- في حالة الدورة الشهرية ، وثبت علميا وطبيا أن الجماع في فترة الحيض ؛ يضر الزوجة ضررا بليغا ؛ ويضرّ الزوج كذلك . قال تعالى : **﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ﴾** [البقرة : ٢٢٢] .

وفي التفسير يجوز للرجل أن يعيش مع الزوجة الحائض ، ويأكل معها ؛ وينام معها على سرير واحد ؛ والمحّرم هو الجماع فقط ، فإذا انتهى الحيض يجب أن تغتسل الزوجة ، ولا يكون

الجماع إلا فى الفرج قال ﷺ « إن الله لا يستحى من الحق لا تجامعوا النساء فى حشاشتهن (أدبارهن) ملعون من أتى امرأته فى دبرها ، ملعون من عمل عمل قوم لوط » .

● الرجل المؤمن الصالح الذى تكتب له الجنّة ، هل تكون زوجته زوجة له هناك ؛ إذا كان لها نفس الجزاء الحسن ؟

– نعم يجمع الله بين الزوج وزوجته فى الجنة ؛ ويتمتعون بظلال الجنة ؛ وفواكه الجنة ورضوان الله ، ويلحق الله بهم الأبناء إذا اشتركوا فى الإيمان ، وقصّروا فى العمل ، ولا يُنقص الله الآباء من درجاتهم .

قال تعالى : ﴿ **إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ، هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ، سلام قولا من رب رحيم** ﴾ [يس : ٥٥-٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ..** ﴾ .

● هل صحيح أن حوّاء هى التى أغْرت آدم بالأكل من الشجرة التى نهاهما الله عنها ؟ وهل صحيح أن آلام الحمل والدورة الشهرية كُتبت على حوّاء وكلّ نسلها بعد ذلك عقابا لها على هذا الموقف ؟

– هذا الكلام موجود فى العهد القديم ، والعهد الجديد ؛ لكنّ القرآن الكريم ، أنصف المرأة وليدة وناشئة وزوجة وأمّا ؛ وبرّأ حوّاء من تهمة إغراء آدم بالأكل من الشجرة ، فالمسئولية مشتركة بينهما فى الضعف والأكل من الشجرة ، والاعتراف لله بالذنب وطلب التوبة والمغفرة .

قال تعالى : ﴿ ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكُلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ؛ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وُرى عنهما من سوءاتهما ، وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورقة الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرةِ وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ؛ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [الأعراف : ١٩ـ٢٤] .

ومن الآيات السابقة وآيات مثلها فى القرآن الكريم ؛ مثل سورة البقرة الآيات ٢٥ـ٢٧، وسورة طه الآيات ١١٧ـ١٢٤؛ وغيرها .

نجد أنَّ آدم وحــوّاء اشتركا فى المسئولية والجزاء ، فقد أكلا من الشجرة فأخرجهما الله من الجنة ؛ وأخرج أبليس من الجنة ، وبيّن أن هناك عداوة بين الإنسان والشيطان ، فالشيطان يوسوس للإنسان ويزيِّن له المعصية ، والله يرشده إلى الهدى والصواب .

أمّا الحمل والولادة والدورة الشهرية ؛ فأمور طبيعية فسيولوجية ؛ فالرجل يكدح ويعمل وينفق على الأسرة ، والمرأة تحمل وتلد وترضع ؛ وتحضن وتربى ، وكلاهما راع ومسئول عن رعيته ، يتعاونان على البر والتقوى ، ورعاية الأسرة ، ولهما ثواب جزيل على رعاية الذرية وتوجيهها وتربيتها وتعليمها .

● هل من النفقة الواجبة للزوجة إحضار خادم يقوم بأعمال البيت بدلا منها ؟

– إذا كان الزوج غنيا موسرا ؛ والخادم متيسر موجود ؛ وجب عليه إحضار خادم (خادمة) لزوجته .

أما إذا كان الزوج فقيرا ، أو الخادم غير متيسر وجوده ؛ فلا يلزمه ذلك . لأن الزوج ينفق على زوجته حسب يساره وإعساره ، وقال بعض الفقهاء حسب حالة الزوج وحالة الزوجة ؛ فإن كان أمثالها يخدمها خادم ؛ أحضر لها الخادمة .

قال تعالى : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلّف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا** ﴾ [الطلاق : ٧] .

● هل يجوز للنساء الذهاب إلى المساجد لأداء صلاة الجمعة وصلاة العيد ؟ وما الشروط الواجب توافرها في المرأة عند توجهها إلى المسجد ؟

– نعم يجوز ذلك وينبغى أن نساعد نساءنا على ذلك ؛ فالنساء فى عهد رسول الله ﷺ كنّ يحضرن الصلاة فى المسجد ، وكان للمسجد باب يسمى باب النساء ؛ وكانت النساء تقول للرسول ﷺ غلبك علينا الرجال ؛ فاجعل لنا يوما من نفسك ، فجعل لهن يوما ؛ وحديث : صلاة المرأة فى بيتها خير من صلاتها فى مسجدى هذا. ردّه العلماء وضعّفوه لأنه مخالف لما كان عليه عمل النبى ﷺ وأصحابه ؛ بل حث النبى ﷺ النساء والبنات على حضور الجمع والجماعات والأعياد ، حتى قالت النساء . ماحفظنا سورة ق ، إلا

من خطبة النبى ﷺ بها ؛ أما الشروط ، فهى أن يكون لبسها شرعيا ساترا للجسم ؛ بدون بهرجة أو روائح عطرية حتى لا تستلفت الأنظار ؛ ولا تثير فتنة .

● ما حكم شرب الدّخان ؟

– لم يعرف الدّخان إلا من مدة ٤٠٠ عام ، أى أنه لم يعرف فى صدر الإسلام ؛ ولا فى زمن الأئمة المجتهدين كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد .

ولما ظهر الدخان تكلم العلماء الذين ظهر الدخان فى عصرهم ؛ فمنهم من قال إنه حلال ، أو مباح ، والكسب منه حلال طيب .

ثم ظهرت أبحاث متتابعة فى أوربا وأمريكا واليابان وغيرها ؛ توضح الأضرار العديدة ؛ الناتجة عن التدخين ، خصوصاً على القلب والرئتين ، وعلى النشاط الجنسى والحيوية وسائر أجهزة الجسم . فرأينا من الفقهاء من يرى أن الدخان مكروه كراهية تنزيهية أو تحريمية ، أمّا الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ؛ فقد وضح فى كتاب الفتاوى ما يأتى : « للتدخين آثار ضارة على الصحة ، ففيه عنصر سام ، يقضى - وإن كان ببطء - على سعادة الإنسان وهنائه ، وإذا نظرنا مع هذا إلى ما ينفق فيه من أموال ، كثيرا ما يكون شاربه فى حاجة إليها ، أو يكون صرفها فى غيره أنفع وأجدى ، إذا نظرنا إلى هذا الجانب عرفنا له جهة مالية ، تقضى فى نظر الشريعة بحظره وعدم إباحته » أ. هـ .

والخلاصة أن الدخان ضار بالصحة ، متلف للمال ، وهو خبيث من الخبائث ؛ وهو مكروه كراهة تحريمية ، وضرره على الأحداث والصغار أشدّ ؛ فيكون حراما عندما يشتد ضرره على الصغير أو المريض ؛ ويمكن الانتصار على التدخين بالإرادة

والعزيمة والإخلاص لله تعالى ، وطلب المعونة منه ، والابتهال إليه بالتوفيق.

● هل صحيح أن الإسلام هضم حقوق المرأة ؟

– أكرم الإسلام المرأة وليدة وناشئة وزوجة وأماً ؛ فقد نهى عن وأد البنات وكرّم إنسانية الإنسان ؛ فقال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بنيٓ آدم** ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وروى ابن ماجة باسناد صحيح ، وابن حبّان فى صحيحه ، والحاكم وقال صحيح الإسناد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » .

وفى صحيح البخارى « استوصوا بالنساء خيرا » .

ووصى القرآن بالوالدين إحسانا ؛ وخصّ الأم بالوصية ؛ فى آيتين من كتاب الله تعالى ؛ لأنها أكثر شفقة وأكثر معاناة ؛ فى الحمل والرضاع والفطام والحضانة .

قال تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير** ﴾ [لقمان : ١٤] .

وقال رجل من أحق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله ؟ قال أمّك ؛ قال ثم من ؟ قال أمّك ؛ قال ثم من ؟ قال أمّك ؛ قال ثم من ؟ قال أبوك . وكان للنبى ﷺ أربع بنات أكرمهن ؛ ووصى بإكرام البنات ؛ لتنشأ البنت كريمة عزيزة فترضع أولادها وأحفادها لبان الكرامة والعزة وحسن التربية ، وفى الأثر « خير النساء من بكّرت بأنثى » أى أفضل الزوجات من كان أوّل مولود لها أنثى .

● **ما هى حقوق الزوجة فى الإسلام ؟**

– أوجب الإسلام حقوقا للزوجة ؛ وحقوقا للزوج كما أوجب حقوقا مشتركة لهما .

فمن حقوق الزوجة :

١ – المهر وهو الصداق ، فإن لم يُسمَّ لها مهر ؛ فلها مهر المثل ، قال تعالى : **﴿ وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾** [النساء : ٤] .

أى أعطوا الزوجات مهورهنّ ؛ طيبة نفوسكم بذلك ، عن سماحة ومكارمة ، فإذا رغبت الزوجة فى معاونة زوجها ؛ وتنازلت عن جانب من صداقها ؛ معاونة له فلا مانع من ذلك .

٢ – ومن حقوق الزوجة النفقة أى السكنى والملبس والمطعم ؛ وما ينفقه أمثال الزوج ، فعلى الغنى نفقة مثله من الأغنياء ؛ وعلى الفقير نفقة مثله من الفقراء ، وكذلك المتوسط ، فالنفقة تقدَّر بحال الزوج مع مراعاة حال الزوجة ، قال تعالى : **﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾** [الطلاق : ٧] .

أى ينفق الغنّى حسب غناه ، والفقير حسب حالته ، لا يجوز أن تتطلع زوجة الفقير إلى حالة زوجة الغنى ، فلا يكلف الله الإنسان إلا بمقدار ما أعطاه ، وعلى الزوجة أن تصبر فبعد العسر يسرا .

عمل الزوجة

إذا كانت الزوجة موظفة وأذن لها زوجها بالعمل ؛ فلا تسقط عنه نفقة الزوجة ، لكن روح الدين تأمر بالتعاون والمشاركة مع زوجها ؛ من باب التكافل والتراحم ، فعليها نفقات ملابسها

وركوبها إلى عملها ؛ وينبغى أن تقدم جانبا من مرتبها للمنزل ، كأجرة خادمة بديلة عنها فى غيابها ، خصوصا إذا كان زوجها فقيرا ، أو كان مرتّبه صغيرا فيجب عليها التعاون بجانب من المرتب ، وتحتفظ لنفسها بجانب منه والفقهاء القدامى أوجبوا النفقة على الزوج ، والمحدثون أوجبوا على الزوجة التعاون والتكافل مع زوجها ، لأنها حرمت المنزل من وجودها فيه ؛ فوجب أن تعوِّضه بجانب من مرتبها ؛ وتحتفظ لنفسها بجانب منه ، والأمر فى ذلك يعود إلى المكارمة والتعاون ومكارم الأخلاق .

أما حقوق الزوجة فهى :

١ - الطاعة والقوامة وهى قوامة المودة والرحمة لا قوامة التسلط والغلظة فهو راع ومسئول عن رعيته .

٢ - القرار فى المنزل .

فالغالبية العظمى من المسلمات مهمتها رعاية المنزل ؛ وتربية النشء .

وإذا خرجت المرأة فلأسباب علمية أو عملية ؛ أو مقبولة شرعا مع إذن الزوج بذلك .

أما الحقوق المشتركة بين الزوجين فهى :

١ - حل استمتاع كل منهما بالآخر .

فبالزواج أصبحت الزوجة حلالا لزوجها ، يجب عليه امتاعها وإشباعها ماديا وعاطفيا ؛ ويجب على الزوجة مثل ذلك .

٢ - حُسن العشرة .

فكل من الزوج والزوجة مطالب بالملاطفة والمكارمة وحسن العشرة ؛ والتقرب من الطرف الآخر ؛ والإيثار والعفة والأمانة

ورعاية الأسرة ؛ قال تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ [النساء : ١٩] .

● **زوجى من أنصار التدين المطلق ، وأنا من أنصار الحضارة الحديثة ؛ فبماذا تنصحنا ليعود السلام إلى منزلنا ؟**

– نحن أمّة وسط ، جمعت بين القوانين الشرعية ؛ وبين تحريك الوجدان والعاطفة .

أمة وسط أبقت على الصالح من القديم ؛ وأضافت ما يدعم الحياة وينظمها .

وبفضل القرآن والسنة والتشريع والرغبة فى الإصلاح والجهاد والاجتهاد ؛ تحركت الأمة الإسلامية من مكة إلى المدينة ؛ ومرّت بالعصور الأموية والعباسية .

ثم حدث ليل طويل من التقليد والجمود استمرّ قرابة ألف عام .

ثم أفاق الشرق على حضارة غربية قوية متقدمة . فمن الناس من رفض هذه الحضارة واعتبرها حضارة فاسدة ؛ فيها إباحية وفساد .

ولكن العقلاء من الأئمة والمصلحين ؛ يرون أن هذه الحضارة ؛ فيها تقدم حقيقى فى السياسة والاقتصاد والتقنية ؛ وعلم النفس وعلم الاجتماع ؛ إلى غير ذلك من الجوانب الإنسانية والعلمية .

والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ، ونحن كمسلمين نستند إلى خلفية صلبة ؛ من الفقه والتشريع ؛ لكننا يجب أن نهتم بأمور ثلاثة :

١ –تطوير المناهج التعليمية وتطوير النظم التربوية .

٢ – دعم البحث العلمى فى جميع حقول المعرفة ، ومن واجب

القطاع الخاص أن يساهم فى نفقات البحث العلمى .

٣ - تجديد أساليب الحياة العامة .

نحن فى حاجة إلى ترشيد فكرى وثقافى يستند إلى قيم الحضارة الإسلامية ، ويهتم باصلاح الأوضاع التعليمية والتربوية ؛ والاقتصادية والسياسية وسائر شئون الحياة .

الحضارة الغربية فيها الغث وفيها الثمين .

ونحن لا نرفضها كلها ؛ ولا نأخذها كلَّها .

بل يجب أن نأخذ منها ما تحتاج إليه الأمة فى نهضتها ؛ وعزِّها ومجدها ؛ فالتقدم الإدارى والعلمى والتكنولوجى والفنِّى لم يعد ترفا بل أصبح واجبا ؛ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

إن روَّاد النهضة من أيام محمد عبده والافغانى وغيرهم ، هم دعاة التجديد فى فهم الإسلام فهما علميا حضاريا يأخذ بيد الفرد والمجتمع ؛ إلى التقدم والعمران والبناء ؛ والاستفادة القصوى من سائر العلوم والفنون المتقدمة ؛ فى الشرق والغرب .

فالقرآن قد مدح العلم والتقنية ؛ وحث على القوة والعزة ؛ ولن تكون لنا قوة أو عزة ؛ إلا إذا شاركنا غيرنا من الأمم ؛ فى أسباب قوتها؛ وتجنبنا الرذائل والمنكرات ؛ المنافية لديننا وتراثنا ؛ والله الموفق .

أسئلة خاصة بالحج وعيد الأضحى

● **هل يجوز للمرأة أن تحج من مال زوجها ، وهل يجوز للإنسان أن يحج من مال مهدى إليه من أجنبى ؟**

– نعم يجوز ذلك .

● **هل يجوز الحج أو العمرة عن الغير ؟**

– نعم يجوز ذلك إذا كان الذى يؤدى الحج قد حج عن نفسه أولا ؛ وإذا كان الغير مريضا أو عاجزا عن أداء المناسك ؛ أو مات ولم يؤد الفريضة ، فيصح أن يؤدى عنه ابنه أو ابنته ، بعد أن يحج عن نفسه أولا ثمّ عن أبيه أو أمّه ثانيا .

● **هل يجوز أن تذهب المرأة إلى الحج بدون صحبة زوجها؟**

– الأفضل والأكمل انتظار الزوج حتى يحج معها ، وأباح الشافعية والعلماء المتأخرون أن تحج المرأة ، وأن تسافر ؛ ما دام الطريق آمنا ؛ أو معها رفقة مأمونة ؛ مثل شركة سياحية فيها رفقة مأمونة من النساء أو أسر من أزواج وزوجات .

● **هل يجوز للمرء الحج وعليه دين ؟**

– إذا كان المرء فقيرا ، أو مركزه المادّى غير مستقر ؛ فلا يحجّ ، وعليه أداء الديون .

أما إذا كان غنيا ، أو يأمل أن يجيء إليه مال بعد الحج ؛ فله أن يحج وعليه دين ؛ ما دام واثقا من سداد الدين .

● **ما حكم ترك طواف الإفاضة ؟**

– طواف الإفاضة ركن من أركان الحج ، ويجوز له الاتيان به فى أى وقت من عمره عند أبى حنيفة وأحمد بن حنبل .

وأمـا عند المالكية فـيمـتـد إلى آخر ذى الحـجة ولا دم عليـه ، ويصح بعـد ذى الحـجة مع وجـوب الدم [أى ذبح شـاة أو دفع ثمنها عند الصيارفة أو المختصـين] .

● فماذا تفعل المرأة إذا جاءها الحيض وقت الحج ؟

– تغـتسـل وتلبس ملابـس الإحرام وتؤدى جـمـيع المناسك ؛ فتذهب إلى منى ثم إلى عرفـات ، ثم إلى المزدلفة ، وتنيب عنها من يرمى لها الجـمار ؛ وتؤجِّل طواف الإفاضة إلى أن تطهـر ؛ أما إذا جاءها الحيض بعد طواف الإفاضة فيسقط عنها طواف الوداع .

● ما حكم الدين فيمن يؤدى الحج ويشتـرى بضائع ليتاجر بها بعد عودته إلى وطنه ، وهل يؤثر ذلك على ثواب الحج؟

– على المسـلم أن يقـصــد وجـه الله بالحج ؛ ويتـفـرغ لأداء المناسك ؛ وبعد الحـج يستطيع شراء مـا يريد ولا ينقص ذلك من ثوابه ؛ قال تعالى : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبـتغوا فـضلا من ربكم** ﴾ [البـقـرة ١٩٨] . وسـبب نزولـهـا أن المسلمـين كـانوا يتحرجون من العمل أو التجارة فى الحج ؛ فأباح الله لهم ذلك .

● هل الأفضل الحج قبل الزواج أم بعده ؟

– إذا كـان الإنسـان فتـيـا قـويا ويخـشى الوقـوع فى الزِّنا ؛ فالأفضل له أن يقدم الزواج على الحج .

وإذا كان معتدلا متـمسكا بدينه ، ولا يخشى الوقوع فى الزنا ؛ فهو بالخيار ؛ له تقديم الحج ؛ أو تقديم الزواج .

● ما هى محظورات الإحرام ؟

١ – لبس المخيط للرجل ، أما النساء فيلبسن ملابسهن العادية؛ ويكشفن وجوههن وأيديهن .

٢ – الرفث : الجماع ودواعيه كالتقبيل واللمس بشهوة والمداعبة.

٣ – الفسوق : اقتراف المعاصى .

٤ – الجدال : مخاصمة الرفقاء وغيرهم ، قال تعالى : ﴿ **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** ﴾ [البقرة : ١٩٧]

٥ – التطيب وتقليم الأظافر ، وحلق الشعر وكل ما كان من وسائل الترف .

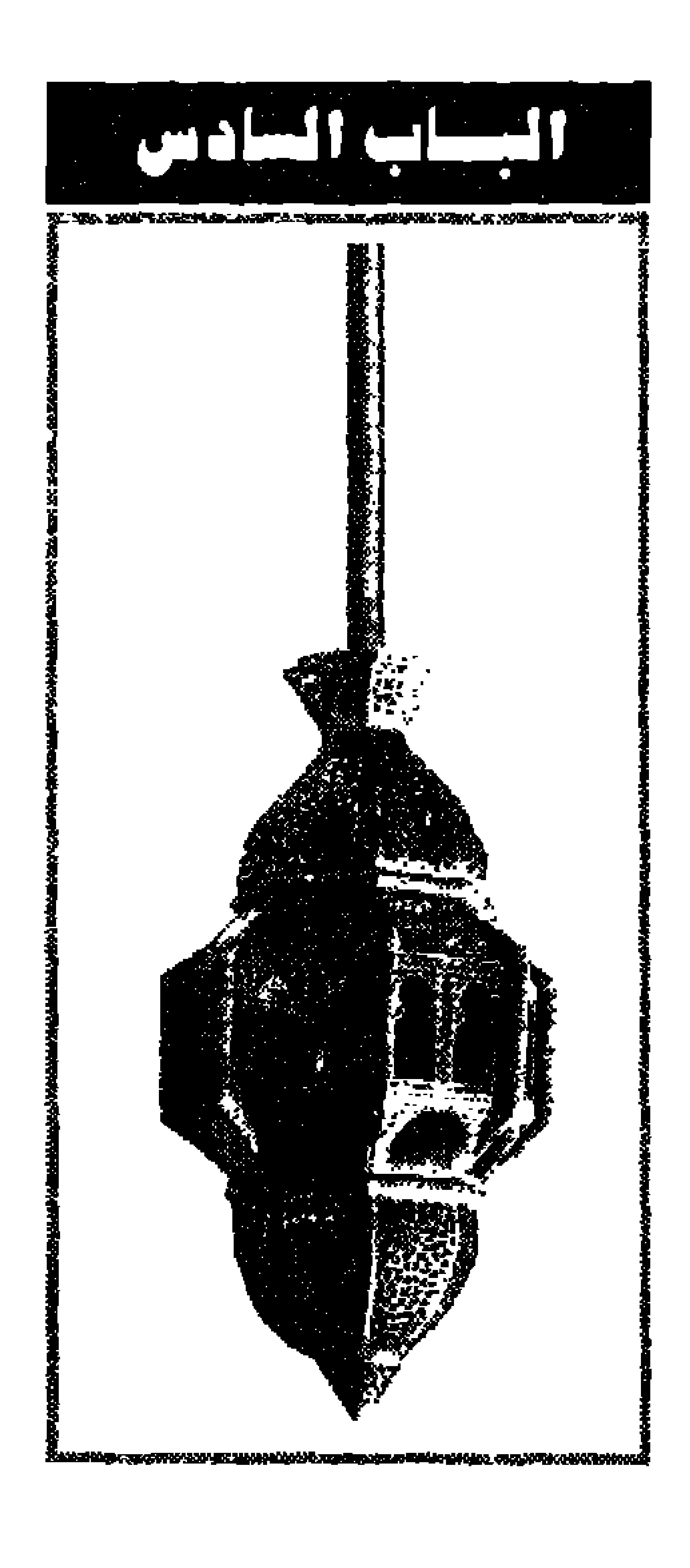
٦ – قطع شجر الحرم أو إتلافه .

٧ – التعرض لصيد البحر بالقتل أو الذبح .

● ما هى الأشياء التى تباح للمسلم وهو محرم ؟

– يجوز للمحرم أن يدخل الحمَّام ويغتسل لعذر أو لغير عذر ؛ ويجوز للمحرم فقء الدمل ، وخلع الضرس ، والنظر فى المرآة . وشدُّ الحزام على الوسط ، ولبس الخاتم فى اليدّ ؛ والاكتحال ووضع المرهم والقطرة فى العين ؛ ويجوز له أن يستظلّ بأى شيء كالبيت والخيمة والمظلة على ألا يلصقها برأسه ؛ وللمحرم أن يستخدم الصابون الذى ليست له رائحة .

وللمحرم أن يحمل السلاح ، وله أن يصطاد من صيد البحر ما يشاء ؛ وله أن يذبح الحيوان المستأنس كالأبل والبقر والغنم .



آداب السلوك

بين الرجال والنساء

تقـــــديم :

رسم الله حدودا وأمر بالتزامهـا ، فالله هو العليم الخبير بما يصلح عباده ويحفظهم وما أمر الإسلام بأمر إلا لحكمة سامـية ، وقد رغـب القرآن فى سد منافـذ الفسـاد ، واتقاء الشبهات ، والحفاظ على الأعراض وإغلاق أبواب الفتنة .

وســوف نتنـاول هنا الحـديث عن آداب السلوك بـين الرجـال والنساء ، من خلال النقاط التالية :

أولا : الاستئذان وآدابه .

ثانيا : غض البصر وأحكامه .

ثالثا : الحجاب ومدلوله .

رابعا : تفسير آية الحجاب وبيان ما يتعلق بها .

خامسا : الاحتشام فى اللباس .

سادسا : ستر العورة .

سابعا : تعليق عام .

أولا : الاستئذان

ينبـغى للزائر ألا يفاجىء أهل البـيت بالدخول ، وينبـغى له أن يتخير الوقت المناسب للزيارة ، حتى يكون أهل البيت على استعداد لقبوله والجلوس معه ، أو الاستماع إلى ما يريد أن يقوله .

وقد كان العرب فى الجاهلية يدخلون البيوت بغير استئذان ، ويهجمون على البيت هجوما ، ويرون أن الاستئذان مذلة تأباها النفوس ، فأنزل الله تعالى قوله : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾** [النور : ٢٧-٢٩]

سبب النزول :

روى الطبرى والقرطبى وغيرهما عن عدى بن ثابت : أن امرأة من الأنصار قالت يا رسول الله إنى أكون فى بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليها أحد ، لا والد ولا ولد ، فيأتى الأب فيدخل على ، وإنه لا يزال يدخل علىّ رجل من أهلى ، وأنا على تلك الحال فكيف أصنع ؟ فنزلت آية الاستئذان .

ويتعلق بالاستئذان ما يأتى :

١ - ينبغى أن يكون الاستئذان ثلاث مرات لا يزيد عليها ، إلا إذا علم أن أصحاب البيت لم يسمعوا استئذانه .

٢ - ينبغى ألا يقف حيال الباب بل بجواره حتى لا يرى ما فى الدار قبل الإذن ، روى البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنما جعل الاستئذان من أجل النظر » . فخلوة الإنسان مكفولة له ، ورسائله وخطاباته لا يصح أن يقرأها أحد بدون إذنه .

روى أبو داود عن عبدالله بن عباس أنه قال : قال رسول

الله ﷺ : « من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار » .

٣ – ينبغى أن يكون الدقّ خفيفا بحيث يسمع ، ولا يعنف فى ذلك ، وكذلك استخدام جرس الباب ينبغى أن يكون خفيفا غير مزعج . روى أنس بن مالك قال : كانت أبواب النبى ﷺ تقرع بالأظافير .

٤ – ينبغى أن يعرف الطارق بنفسه تعريفا يزيل عنك الجهالة فيقول اسمى محمد أو ابراهيم مثلا ولا يقول أنا . روى الصحيحان وغيرهما عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : استأذنت على النبى ﷺ فقال : « من هذا » ؟ فقلت : أنا . فقال النبى ﷺ : « أنا .. أنا » كأنه كره ذلك . وإنما كره ذلك لأن كلمة أنا لا يحصل بها تعريف وينبغى أن يقرن بها اسم الشخص فيقول أنا أحمد على ، أو أنا عماد عبدالله .

وفى صحيح مسلم أن أبا موسى الأشعرى جاء إلى عمر بن الخطاب فقال : السلام عليكم هذا أبو موسى ، السلام عليكم هذا الأشعرى ..

٥ – جعل الفقهاء حكم السمع كحكم النظر ، فإذا دخل رجل أعمى فى دار قوم فهو وإن كان لا ينظر إلى شىء بعينه ، ولكنه يسمع أحاديث أهل الدار ، وهذا أيضا تدخّل غير مشروع فى حق الخلوة كالنظر ، ويلحق بذلك التحسس والتجسس على أحاديث الغير ، وسماع المكالمات التليفونية الخاصة بالآخرين . وقد توعد النبى بالعذاب من يتسمع لقوم وهم لاستماعه كارهون . ويتبادر إلى الذهن الحديث عن فضيحة ووترجيت ، وقد ثبت فيها أن الرئيس الأمريكى نيكسون سمح بالتصنت على الحزب المنافس

له ، وأدى اكتشاف ذلك مع ملابسات أخرى إلى إجباره على الاستقالة ، وديننا الحنيف دعا إلى أدب الاستئذان ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان . وفى إحياء آداب ديننا إعادة لمجد الإسلام .

٦ - لا يجب الاستئذان إذا عرض فى الدار أمر مفاجىء شديد كمريض يستغيث أو حريق أو هجوم سارق أو غاصب الخ .

٧ - إذا لم يكن صاحب البيت مستعدا لاستقبال الزائر فيجب أن يعود وأن يقبل العذر فهذا هو الأطهر والأسلم : ﴿ **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم** ﴾ .

٨ - الفنادق والأماكن العامة يباح دخولها بدون استئذان مادام للإنسان فائدة أو مصلحة أو حاجة أو « متاع » أى قضاء مصلحة بهذه الأماكن العامة وهذا معنى قوله سبحانه : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ﴾ .

ومعنى الآية : ليس عليكم إثم ولا حرج أن تدخلوا بيوتا غير معدة لسكن قوم معينين ، بل معدة ليتمتع بها من يحتاج إليها كائنا من كان فالطالب يدخل المدارس لطلب العلم والزائر يدخل الفندق للنوم والاغتسال .. والزبون يدخل الدكان للابتياع والحاقن يدخل الخلاء لقضاء الحاجة ، وكل ينتفع بما يناسبه من هذه الأماكن العامة .

٩ - (المتبادر أن الاستئناس والاستئذان والسلام هو بسبيل تنبيه أهل البيت حتى يتهيأوا لقبول الزائر ، إذا لم يكن عندهم مانع ويأذنوا له ، وإن فحوى الآيات وروحها يلهمان أن هذا التنبيه والتأديب عام للرجال والنساء ، وأنه ليس من جناح أو حرج من دخول النساء على الرجال ، والرجال على النساء بعد

صـدور الإذن)[1] ، والمطلوب مـن المؤمنين والمؤمنـات هو تجنب أسـباب الفـتنة ومنع الخلوة بالمرأة الأجنبـيـة ، فإذا أمنت الفـتنة والريبة لم يبق حـرج على النساء من اسـتقبـال الرجال في غيـبة أزواجهن[2] .

روى الترمذى وصححه عن الأحوص عن النبى ﷺ قال : « ألا إن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكـم حقا ، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وإن حـقهن عليكم أن تحـسنوا إليـهن فى كسـوتهن وطعامهن » .

والحديث لا يحظر السماح للمرأة باستقبال الرجال مطلقا وإنما يحظر استقبالها لمن يكره زوجها دخوله عليها .

وروى الخمسة إلا النسائى عن النبى ﷺ قال : « لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » . والحديث لا يحظر اسـتقبـال المرأة الرجال ، إذا كان ذلك بموافـقة وإذن زوجهـا ، وتستطيع الزوجـة أن تخبر زوجـهـا بمن اسـتأذن منها ، وتأخذ الموافقة على من كان موثوقا غير متهم[3] .

وروى الطبرى أن عبـد الرحمن بن عوف قال للنبـى ﷺ حينما نهى عن خلوة الرجـال بالنسـاء إلا مع مـحرم ، يا رسـول الله أنا نغـيب ويكون لنا أضـياف ، فـقال ليس أولـئك عنيت ، ليس أولئك عنيت .

سـد منافذ الفتنة :

لقد رويت أحاديـث نبوية عديدة فى صدد عـدم دخول الرجال

---

(١) المرأة فى القرآن والسنة ، الأستاذ محمد عزة دروزة ، ص ٢٤٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .
(٣) المرأة فى القرآن والسنة ، محمد عزة دروزة ، ص ٢٤٧ .

على النساء من غير محارمهن وعدم الخلوة بهن ، وعدم البيتوتة ، عندهن ، وسنورد طائفة من هذه الأحاديث :

(أ) روى الشيخان عن عقبة بن عامر قال : قال النبى ﷺ « إياكم والدخول على النساء فقال رجل يا رسول الله أفرئيت الحمو ، قال الحمو دعوت »[1] .

(ب) روى الترمذى عن جابر قال : قال النبى ﷺ : « لا تجلوا على المغيبات فإن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم »[2] .

(جـ) روى الترمذى أيضاً عن جابر قال رسول الله ﷺ : « لا يخلو رجل بامرأة إلا كان ثالثهم الشيطان » .

(د) وروى مسلم أن النبى ﷺ قال : « ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحا أو ذا محرم » .

(هـ) وروى الأربعة إلا البخارى عن ابن عباس قال : قال ﷺ : « لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم ، فقام رجل فقال يا رسول الله امرأتى خرجت حاجة ، واكتتبت فى غروة كذا وكذا ، قال : ارجع فحج مع امرأتك » .

والذى يتبادر لنا من نصوص هذه الأحاديث وروحها أنها ليست فى صدد منع دخول الرجال غير المحارم على النساء أو اجتماعهم بهن اطلاقا ، وإنما هى فى صدد التنبيه على وجوب الابتعاد عن مواضع الفتنة والريبة والتهمة وأسبابها ، وفى هذا ما فيه من الحكمة البالغة التى يجب أن يهتدى بها المسلمون فى كل وقت[3] .

---

(١) الحمو هو أقارب الزوج والغالب أن السؤال فى صدر غير المحرم من اقارب الزوج مما لا يجوز أن تظهر المرأة زينتها ومفاتن جسدها أمامه .

(٢) المغيبات : اللائى غاب أزواجهن .

(٣) المرأة فى القرآن والسنة ، تاليف محمد عزة دروزة ، ص ٢٤٦ .

ثانيا : غض البصر

البصـر هو النافذة التي نرى العالم من خلالها ، وقد حرص القرآن والسنة على سد منافذ الفتنة من باب سد الذرائع على أساس أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ [النور : ٣٠-٣١] .

ويتعلق بهذه الآية ما يأتي :

١ - الغض في اللغة : النقص والخفض والوضع يقال غض من قدره أي خفض ونقص ووضع من قدره .

والمراد بغض البصر في الآية أن لا ينظر بملء العين ، وأن يكف النظر عن الأجنبيات ، بخفضه إلى الأرض أو بصرفه إلى جهة أخرى ، وكلمة « من » في « من أبصارهم » للتبعيض ، أي أن الله تعالى لا يأمركم بصرف كل نظر من أنظاركم وإنما يأمركم بصرف بعضها ، والمراد صرف نظر الرجال إلى النساء ، أو إلى عورات غيرهم ، أو إلى المناظر الفاحشة ، فلا يحل لرجل أن ينظر إلى امرأة غير زوجته أو محارمه من النساء .

٢ - اختلف في المراد بحفظ الفرج ، فقيل إن معناه تجنب الزنا واللواطة ، وقيل إن المراد ستر الفروج ، فلا يحل للمؤمن أن يكشف عن سوءته ، ولا أن يلبس لباسا رقيقا يشف عما تحته ويبين عورته ، ولا مانع من إرادة المعنيين جميعا[1] .

٣ - قال القرطبي في تفسيره : « النظر هو الباب الأكبر إلى

(١) تفسير آيات الاحكام للسايس ، ٣/١٦٥ .

القلب ، وأعمر طرق الحواس إليه ، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ، ووجب التحذير منه ، وغضه واجب عن جميع المحرمات ، وكل ما يخشى الفتنة من أجله . وقد قال ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات ، فقالوا يا رسول الله ما لنامن مجالسنا بد نتحدث فيها ، فقال فإن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » رواه أبو سعيد الخدرى ، وخرجه البخارى ومسلم ، وفى صحيح مسلم عن جرير ابن عبدالله قال سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فأمرنى أن أصرف بصرى ، وهذا يقوى قول من قال : إن « من للتبعيض ، لأن النظرة الأولى لا تملك فلا ندخل تحت خطاب تكليف ، إذ وقوعها لا يتأتى أن يكون مقصودا .. وحرام على الرجل أن ينظر إلى ذات محرم نظرة شهوة يرددها[1] .

٤ - من أدب النبوة : حفلت كتب السنة المطهرة بتوجيهات النبى الأمين للمؤمنين بغض البصر والعفة والنزاهة ، وقد أورد ابن كثير وغيره من المفسرين طائفة من هذه الأحاديث ومنها ما يأتى :

(أ) قال ﷺ : ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها » . رواه الإمام أحمد فى مسنده .

(ب) قال ﷺ : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » . أخرجه أحمد وأصحاب السنن .

(جـ) عن عبد الله بن عباس قال : « كان الفضل بن عباس

(١) تفسير القرطبى ١٢/٢٢٣ ، بتصرف واختصار .

رديف رسول الله ﷺ ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، فجعل ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر » . رواه البخارى والترمذى وأبو داود .

(د) قال ﷺ : « يا على لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة » ، رواه الترمذى وأحمد وأبو داود والدارمى .

(هـ) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال ﷺ يقول الله عز وجل : « إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم ، من تركه من مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه » أخرجه الطبرانى .

٥ - صور مستثناة : الأمر بغض البصر قد استثنيت منه صور تعرض للإنسان فيها حاجة حقيقية للنظر إلى وجه المرأة ، كالنظر إلى امرأة مشتبهة عند تحقيق الجرائم ، أو نظر القاضى إلى وجه المرأة عند تحقيق الشهادة ، أو نظر الطبيب إلى وجه المرأة للمعالجة ، وإذا أراد إنسان أن يتزوج امرأة فمن السنة أن ينظر إليها .

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر للخطبة » .

وروى أبو داود وأحمد أن رسول الله ﷺ قال : « إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعو إلى نكاحها فليفعل».

ثالثا : الحجاب

المقصود بالحجاب فى الإسلام هو فرض الحشمة وعدم إظهار المفاتن اتقاء للإغراء والفتنة ، وليس المقصود بالحجاب فرض زى خاص للمسلمات ، فالأزياء والأشكال عرضة للتطور والتبدّل ، والذى ينبغى أن يظل متحققا على اختلاف الأزمنة والأمكنة هو الهدف الذى نوهنا به ، ولو كان على المسلمين أن يلتزموا بالأزياء التى كانت

ممارسة لوجب عليهم أن يلتزموا بأزياء النبى وأصحابه ، بدون اختيار شىء بدلها ، ولم يقل أحد من علماء المسلمين بذلك ، ولم يجبر على ذلك أحد من لدن الخلفاء الراشدين إلى اليوم .

وقد ورد فى الحديث الشريف : « كل ما شئت والبس ما شئت ما تجنبك اثنتان : الإسراف والمخيلة » .

والإسراف هو التبذير والمغالاة في ثمن الأشياء ، والمخيلة هو التبختر والزهو بالثوب أو بالشىء ، وقد أورد ابن كثير حديثا رواه الترمذى عن ميمونة بنت سعد قالت : « قال رسول الله ﷺ : الرافلة فى زينتها فى غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها».

وروى أبو داود والترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « كل عين زانية . والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا » .. ومعنى كذا وكذا أى زانية .. وهدف هذه النصوص هو التنديد بالمرأة التى تتبذل وتظهر زينتها ومفاتنها لغير محارمها وتغيرهم وتثيرهم.

من هدى القرآن :

قال تعالى : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن ، أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [النور : ٣١] .

ومما يتعلق بهذه الآية ما يأتى :

١ - (قرر الإسلام حدود ستر العورة بالنسبة للرجال وبالنسبة للنساء ، فهو يلزم الرجل أن يستر ما بين سرته وركبته ويلزم المرأة أن تستر كل جسدها ما عدا وجهها ويديها وقدميها ، فإذا كان لباس أمة من الأمم لا يفى بهذه الشروط يطالبها الإسلام بأن تدخل الإصلاح على لباسها حسب هذه الشروط ، وهى إذا أدخلت عليه الإصلاح وفقا لهذه الشروط ، فقد نزلت على مطلب الإسلام ، ولا يعارض الإسلام بعد ذلك أى نوع من اللباس يلبسه رجالها أو نساؤها .

والإصلاح الثانى المهم الذى قرره الإسلام فى اللباس ، هو نهى الرجال أن يلبسوا الحرير أو أن يزينوا أنفسهم بحلى الذهب .

ونهى الرجال والنساء معا أن يلبسوا لباسا ينم عن العجب والفخر والتبختر والكبرياء ولين العيشة والميوعة ، إن ملابس الأبهة والفخفخة التى لها ذيول تسحب على الأرض ، وبارتدائها لابد أن يستكبر الإنسان على الناس تستحق اللعنة فى نظر الإسلام ، فهذه المعايب إذا تجنبتموها فى بلادكم ومجتمعكم ، فإن أى لباس له رواج فى بلادكم ومجتمعكم هو اللباس الإسلامى بالنسبة لكم)[1] .

٢ - قال ابن كثير : (لقد كانت المرأة فى الجاهلية تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شىء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن فى هيئاتهن وأحوالهن) .

ويقول الزمخشرى فى تفسير الكشاف عن نساء الجاهلية :

---

(١) أبو الأعلى المودودى ، الزى بين الابتذال والاحتشام ، ص ٣٠ .

(كانت جيوبهن واسعة ، تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها ، وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها) .

كانت نساء الجاهلية قريبة الشبة بحال المرأة فى الجاهلية الحديثة فى عصرنا ، فلما نزل القرآن بهذه الآيات تهذب الذوق الإسلامى وسارعت النساء إلى امتثال أمر الله ، فحجبن مفاتن أجسامهن طائعات ، وهذا التحشم وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة .

روى البخارى عن عائشة أنها قالت : « رحم الله نساء المهاجرات[1] الأول لما نزل (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن أزرهن فاختمرن بها »[2] .

٣ - هل يجوز أن تنظر المرأة إلى الرجل الأجنبى عنها ؟

هناك رأيان فى الاجابة على السؤال :

الأول : يحظر على المرأة أن تنظر إلى شىء من بدن الرجل الأجنبى.

الثانى : ليس حراما على المرأة أن تنظر من الأجنبى إلى غير ما بين السرة والركبة .

ويمكن أن نستعرض هذه الروايات .

أولا : يستدل من يبيح نظر المرأة للأجنبى ما يأتى :

(أ) ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم فى المسجد يوم العيد ، وعائشة تنظر إليهم من ورائه ، وهو يسترها منهم، حتى ملت ورجعت ، وذلك سنة سبع من الهجرة .

(١) أى النساء المهاجرات وهو نحو شجر الأراك أى شجر هو الأراك .

(٢) انظر تفسير القرطبى ١٢/ ٢٣٠ .

(ب) صح أيضا أن النبى ﷺ مضى إلى النساء فى المسجد يوم عيد ، فذكرهن ومعه بلال وأمرهن بالصدقة ، وبعيد ألا ينظرن إلى النبى ﷺ وإلى بلال حين يسمعن الموعظة ويتصدقن ، فدل مجموع ذلك على أنه يباح للمرأة أن تنظر من الرجل الأجنبى ، إلى ما عدا ما بين سرته وركبته ، وبهذا قال جمع من فقهاء الأمصار ، وهو أحد قولى الشافعى .

ثانيا : يستدل من يحظر على المرأة أن تنظر إلى شىء من بدن الرجل الأجنبى بما يأتى :

نصوص السنة واضحة فى تحريم نظر المرأة ـ من غير زوجها ـ إلى ما بين السرة والركبة ، سواء أكان ذلك بشهوة أم بغير شهوة ، كما حظرت عليها أيضا أن تنظر إلى شىء من بدن الرجل بشهوة ، كل هذا محل اتفاق بين الفقهاء جميعا ، أما نظرها ما فوق السرة وتحت الركبة فقد اختلفت الروايات فيه : فمنها ما يحظر على المرأة أن تنظر إلى شىء من بدن الرجل الأجنبى ، وهو قول أحمد وأحد قولى الشافعى وصححه النووى ، وهو أيضا ظاهر قوله تعالى : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ . وقد استشهد أصحاب هذا الرأى بأحاديث متعددة منها ما يأتى :

(أ) أخرج أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وصححه عن أم سلمة قالت : كنت عند النبى ﷺ وميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم حتى دخل عليه ، وذلك بعد أن أمر بالحجاب ، فقال رسول الله ﷺ « احتجبا منه » فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال : « أفعمياوان أنتما .. ألستما تبصرانه » ؟.

(ب) جاء فى الموطأ عن عائشة أنها احتجبت عن أعمى ، فقيل لها أنه لا ينظر إليك ، قالت لكننى أنظر إليه .

وقد حاول كل فريق الدفاع عن رأيه ، وتوهين حجة الفريق الآخر .

قال الأستاذ محمد على السايس فى كتابه (تفسير آيات الأحكام) ٣/ ١٥٩ (ولعل أولى ما جمع به بين هذه الأحاديث المتعارضة أن يحمل الأمر بالاحتجاب من ابن أم مكتوم على الندب ، وكذلك احتجاب عائشة رضى الله عنها عن الأعمى كان ورعا منها ، وعملا بما هو أجمل وأولى بالنساء ، وحينئذ لا يكون حراما على المرأة أن تنظر من الأجنبى إلى غير ما بين السرة والركبة) .

رابعا : تفسير آية الحجاب

﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ : أى فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة ، أو الهاتفة المثيرة ، تستثير كوامن الفتنة فى صدور الرجال .

﴿ **ويحفظن فروجهن** ﴾ : عما لا يحل لهن من الزنا والسحاق ، ويسترنها حتى لا يراها أحد .

﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ : أى ولا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب ، إلا ما لا يمكن إخفاؤه مما جرت العادة بظهوره ، كالخاتم والكحل والخضاب فلا يؤاخذن إلا فى إبداء ما خفى ، كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والأكليل والوشاح والقرط ، لأن هذه الزينة واقعة فى مواضع من الجسد ، وهى الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن ، لا يحل النظر إليها .

﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ : الخمر جمع خمار

وهو ما يخمر به ، أى يغطى به الرأس ، والجيوب جمع جيب وهو الصدر ، فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن ، أن يغطين رؤوسهن وأعناقهن ونحورهن وصدورهن بكل ما فيها من زينة وحلى ، على خلاف ما كانت عليه حال النساء فى الجاهلية .

﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾ : أى فإنهم المقصودون بالزينة ، وللرجل أن ينظر إلى جمع بدن زوجته ، فكلها حلال مباح .

﴿ **أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن** ﴾ : أى لأن هؤلاء محارمهن الذين تؤمن الفتنة من قبلهن ، فإن آباءهن أولياؤهن ، الذين يحفظونهن عما يسوؤهن . وأبناؤهن شأنهم خدمة الأمهات وهم منهن ، وأبناء بعولتهن شأنهم خدمة الآباء وخدمة أحبابهم ، وإخوانهن هم الأولياء بعد الآباء ، وبنوهم أولياء بعدهم ، وكذا بنو أخواتهن .

قال الزمخشرى : وإنما سومح فى الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ، ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ، ولما فى الطباع من النفرة من ممارسة القرائب ، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم فى الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك .

﴿ **أو نسائهن** ﴾ : بعض المفسرين قالوا المراد بها النساء المسلمات فقط . وقالت طائفة أخرى المراد (بنسائهن) جميع النساء وهذا هو أصح الآراء عن الإمام الرازى .

وقالت طائفة ثالثة إن المراد بنسائهن النساء المختصات بهن بالصحبة والخدمة والتعارف ، سواء أكن مسلمات أم غير

مسلمات ، فليست العبرة في هذا الشأن بالاختلاف الديني ، بل هي بالاختلاف الخلقي .

﴿ **أو ما ملكت أيمانهن** ﴾ : أي مماليك النساء من الذكور والجملة في مقامها تفيد اعتبارهم من محارمها .

ومن تحصيل الحاصل أن يقال إن ذكور المماليك المملوكين لغير المرأة هم أجانب عليها وحكمهم حكم سائر الرجال .

﴿ **أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال** ﴾ وهم خدم المرأة الذين فقدوا القدرة الجنسية بسبب السن أو بسبب آخر ، وهذا يقتضي عدم إبداء المرأة زينتها الواجب إخفاؤها أمام خدمها من الرجال الذين لم يفقدوا القدرة الجنسية .

وقيل في معنى : ﴿ **التابعين غير أولي الأربة من الرجال** ﴾ هو المغفل الذي لا حاجة له في النساء ، أو الأبله الذي لا يدري من أمر النساء شيئا ، أو المجبوب ، أو الخصي ، أو الممسوح ، أو المخنث .

ولقد روى الشيخان عن أم سلمة قالت : « إن النبي ﷺ دخل عليها وفي البيت مخنث ، فقال المخنث لأخي أم سلمة عبدالله بن أبي أمية ، إن فتح الله لكم الطائف غدا أدلك على بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال النبي ﷺ لا يدخلن هذا عليكم » ، وأمر بإخراجه من المدينة ، وكذلك أخرج من المدينة من كان بها من المخنثين غيره ، لأن النساء ما كن يحتجبن منهم ، وكانوا يبينون للرجال أحوال النساء في البيوت .

في أعقاب الآية :

١ - نقل القرطبي في تفسيره عن مكي قال : « ليس في كتاب الله تعالى آية أكثر ضمائر من هذه ، جمعت خمسة وعشرين ضميرا للمؤمنات من مخفوض ومرفوع » .

٢ – استدل الحنفية بهذه الآية على أن صوت المرأة عورة فإنها إذا كانت منهية عن فعل يسمع له صوت خلخالها ، فهى منهية عن رفع صوتها بالطريق الأولى ، « والظاهر أنه إن أمنت الفتنة لم يكن صوتهن عورة ، لأن نساء النبى ﷺ كن يروين الأخبار للرجال وفيهم الأجانب من غير نكير ولا تأثيم)(١) .

٣ – يذهب الأستاذ أبو الأعلى المودودى إلى الجانب المتشدد فى أحكام النساء .

ويذهب محمد عزة دروزة إلى الجانب الميسر فى أحكام النساء ، ويذهب هذا المذهب الأستاذ الشيخ محمد على السايس الأستاذ بكلية الشريعة بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

نموذج

وجه المرأة ويداها ، هل هما عورة يجب سترهما ، أم غير عورة فيباح كشفهما ؟

اختلف الفقهاء فى معنى قوله تعالى : **﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾** .

ويتبلور هذا الخلاف فى هذين الاتجاهين :

الاتجاه الأول : يرى الإمام أحمد بن حنبل أن معناه : إن النساء منهيات عن ابداء الزينة إلا الزينة التى ظهرت بنفسها من غير قصد فمعفو عنها ، كأن كشفت الريح عن نحر امرأة أو ساقها ، وذهب الإمام أحمد إلى أن بدن المرأة كله عورة فيحرم إبداء شىء منه للاجنبى ، وهو أصح قولى الشافعى ، وقالوا : إن المراد بما ظهر منها ما ظهر بنفسه بغير قصد إلى إظهاره .

(١) تفسير آيات الاحكام للسايس ، ٣\١٦٧ .

والاتجاه الثاني : ذهب الحنفية والمالكية إلى أن معنى الآية ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ إلا شيئا جرت العادة بظهوره ، فلسن منهيات عن إبدائه ، وذلك هو الوجه والكفان وما فيهما من زينة كالكحل والخضاب والخاتم ، وعلى هذا التأويل تكون الزينة نوعين: ظاهرة وباطنة ، فالله قد حظر ابداء شيء من الزينة الباطنة لغير من استثنى في بقية الآية ، ولم يحظر إبداء الزينة الظاهرة لأن الحاجة تقضي بظهورها ، وعلى هذا قال الحنفية والمالكية إن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وهو أصح قولي الشافعي ، واستشهدوا بقوله ﷺ : « يا أسماء أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح لها أن يرى منها إلا هذا » وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه .

أبو الأعلى المودودى يؤيد الحنابلة

رجح الأستاذ أبو الأعلى المودودى رأى الحنابلة وقال :

(إن الظاهر من الآية أن القرآن ينهى عن إبداء الزينة ، ويرخص فيما إذا ظهرت من غير قصد فالتوسيع في هذه الرخصة إلى حد إظهارها عمدا مخالف للقرآن ، ومخالف للروايات التى يثبت بها أن النساء فى عهد النبى ﷺ ما كن يبرزن إلى الأجانب سافرات الوجوه ، وأن الأمر بالحجاب كان شاملا للوجه وكان النقاب قد جعل جزءا من لباس النساء إلا فى الإحرام)[(١)]

محمد على السايس يؤيد الحنفية

يقول الأستاذ محمد على السايس : (ولعلك إذا نظرت إلى أن الشريعة سهلة سمحة ، لا حرج فيها ولا مشقة ، ترجح القول بأن الوجه والكفين من الأجنبية ليسا من العورة فإن فى تكليف النساء ستر الوجه والكفين حرجا ومشقة عليهن ، لا سيما الفقيرات اللاتى

---

(١) أبو الأعلى المودودى : تفسير سورة النور ، ص ١٥٨ .

ليس لهن خـدم ، فيـضطررن إلى قـضـاء حـاجـاتهن من الأسـواق بأنفسهن)[1] .

محمد عزة دروزة

يقول الأستاذ محمد عزة دروزة :

وجـملة ﴿ إلا مـا ظهر منهـا ﴾ تعني مـا جـرت العـادة على ظهوره، وعـدم الحاجة والإمكان إلى سـتـره وإخفائه ، والجمـهور على أن ذلك يعنـى الوجـه والكفـين ، وهناك من قـال إنه الخـاتم والخضـاب والكحل والثيـاب وظهر الكفـين بالاضافـة إلى الوجه والكفين ، والعلماء متفقون على أن وجه المرأة ويديها ليست عورة ويجوز كشفها استدلالا من هذه الجملة[2] .

ويستمر الأستاذ محمد عزة دروزة فيقول :

وليس هناك أى أثـر نبـوى فى مـا اطلعنا علـيـه بسـتـر المرأة لوجهـها ويديهـا ، وهناك نهى نبوى عن ذلك فى الإحـرام ، حيث روى أصحاب السـنن وأحمد عن ابن عمر قال : « سمعت النبى ﷺ نهى النساء في إحرامهن عن القفازين والنقاب » .

وهناك أحاديث أخرى في صدد ذلك ، منها حديث رواه الطبرى عن عائشـة جاء فيـه : « قال رسـول الله ﷺ : إذا أحرمت المرأة لم يحل لها أن تظهر إلا وجهـها ، وإلا مادون هذا ، وقبض على ذراع نفسه ، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى » .

وحديث آخر رواه الطبرى كـذلك جاء فيه : « إن النبى ﷺ أباح للمـرأة أن تبدى من ذراعـيهـا إلى قـدر النصف » بالإضافـة إلى وجهها وكفيها .

(١) تفسير ايات الأحكام للسايس ، ٣/ ١٦٢ .

(٢) هذه دعوة لاتفاق العلماء ، وقد سبق أن الحنابلة يرون أن الوجه واليدين عورة .

القواعد والعجائز

يقول الله تعالى : ﴿ **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم** ﴾ [النور : ٦٠]

قال فى القاموس : امرأة قاعد : بزنة حائض ، وهى التى قعدت عن الولد وعن الحيض وعن الزوج .

وفى الآية تجويز للنساء العجائز أن يتخففن من ثيابهن الخارجية ، فلا حرج على العجوز أن تخلع خمارها وقناعها وثيابها الزائدة ، بشرط ألا تقصد بهذا التخفف من الثياب التبرج وإبداء الزينة أمام الرجال .

وخير للعجائز أن يبقين كاسيات بثيابهن الخارجية الفضفاضة.

والمتبادر أن فى هذه الآية استدراكا للآية (٣١) من سورة النور، فقد أمرن بتغطية أجزاء البدن ، وعدم إظهار الزينة وأماكنها لغير المحارم ، فاقتضت حكمة التنزيل ، الاستدراك فى أمر اللاتى لا يخاف منهن الإغراء والفتنة ، للتيسير والتخفيف ، وجمهور المفسرين على أن هذا الفريق من النساء من اللاتى تقدمن فى السن، وتجاوزن حد الشهوة الجنسية فى ذات أنفسهن وبالنسبة للرجال . وعلى كل حال فالقرآن إنما يهدف إلى اتقاء الفتنة والإغراء وأسبابهما ، ثم إلى إيجاب الحشمة على النساء عامة .

والنساء بعد فى نظر القرآن فريقان .. فريق مثار فتنة وإغراء فهو مأمور بستر مفاتنه وزينته التى ليس من العادة والطبيعة ظهورها ، وفريق ليس كذلك فهو غير مأمور بالتشدد ، ولكنه مدعو على كل حال إلى الاحتشام والاعتدال .

خامسا : الاحتشام فى الملبس

ينبغى أن تتخير المرأة المسلمة زيا يدعو من يشاهدها إلى احترامها وتوقيرها وأن تكمل ذلك بسلوكها ورزين فعلها . فالثوب السابغ ، والتستر الكامل من شأنه أن يعلن عن الفضيلة والاستقامة .

وقد أمر الله زوجات النبى وبناته ونساء المؤمنين بتخير ثياب سابغة مميزة ليعرف من يراهن أنهن من الحرائر فلا يفكر فى توجيه كلمات الهوى أو مطارحة الغرام إليهن .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

وقد روى المفسرون أن الفساق كانوا يتعرضون للنساء فى الليل حين يذهبن لحاجتهن بدون تفريق بين الحرائر والاماء ، والعفيفات والعاهرات ، وأن الآية نزلت لجعل زى خاص لحرائر المؤمنات يميزهن عن غيرهن حتى يسلمن من التعرض والأذى .

وهناك من قال : إن الفساق كانوا إذا رأوا المرأة متجلببة كفوا عنها وقالوا إنها حرة أو عفيفة ، فأمرت الآية بعدم إهمال الجلباب.

وقد روى البغوى عن أنس قال : « مرت بعمر بن الخطاب جارية مقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاح أتتشبهين بالحرائر . إلى القناع » .

ولقد تعددت الأقوال فى الجلباب ومفهوم (إدنائه) وأوجه الأقوال فى الجلباب هو الملاءة أو العباءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والإزار ، أما « الإدناء » فمن المفسرين من قال : إنه تغطية الرأس والوجه ، ومنهم من قال إنه ليس تغطية تامة للوجه

وإنما هو تغطية جزئية بحيث يكشف عن العيون أو عن عين واحدة ، أو يغطى شقا من الوجه .

وعلى كل حال فالجملة تفيد أن إدناء الجلباب تعليم بزى خاص يعرف به المؤمنات ويفرق به بين الحرائر والعواهر فيمتنع بذلك أذى الفساق والفجار عنهن .

وروح الآية توجب على المؤمنات زيا أو مظهرا خاصا يميزهن عن العواهر ويمنع عنهن أذى الفساق ، دون التقيد بنفس الشكل الذى كان جاريا وقت نزول الآية(١) .

سادسا : ستر العورة

من شروط صحة الصلاة ستر العورة ، وقد جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة حد العورة عند الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية .

١ - الحنفية :

ذهب الحنفية إلى أن حد عورة الرجل بالنسبة للصلاة هو من السرة إلى الركبة ، والركبة عندهم من العورة بخلاف السرة .

وحد عورة المرأة الحرة هو جميع بدنها حتى شعرها النازل عن أذنيها لقوله ﷺ : « المرأة عورة » ، ويستثنى من ذلك باطن الكفين فإنه ليس بعورة بخلاف ظاهرهما ، وكذلك يستثنى ظاهر القدمين فإنه ليس بعورة بخلاف باطنهما فإنه عورة عكس الكفين .

٢ - الشافعية :

ذهب الشافعية إلى أن حد العورة من الرجل والأمة هو ما بين السرة والركبة ، والركبة والسرة ليستا من العورة ، وإنما العورة

(١) مقتبس من كتاب المرأة فى القرآن والسنة ، للأستاذ محمد عزة دروزة .

ما بينهما ولكن لابد من ستر جزء منهما ليتحقق من ستر الجزء المجاور لهما من العورة .

وحد العورة من المرأة الحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل عن أذنها ، ويستثنى من ذلك الوجه والكفان ظاهرهما وباطنهما .

٣ - الحنابلة :

الحنابلة قالوا فى حد العورة كما قال الشافعية ، إلا أنهم استثنوا من الحرة الوجه فقط وما عداه منها عورة .

٤ - المالكية :

ذهب المالكية إلى أن العورة فى الرجل والمرأة بالنسبة للصلاة تنقسم إلى قسمين : مغلظة ، ومخففة ولكل منهما حكم .

فالمغلظة للرجل السوأتان وهما القبل والخصيتان وحلقة الدبر لا غير ، والمخففة له ما زاد على السوأتين مما بين السرة والركبة وما حاذى ذلك من الخلف .

والمغلظة للمرأة الحرة جميع بدنها ما عدا الأطراف والصدر وما حاذاه من الظهر والذراعين والعنق والرأس ، ومن الركبة إلى آخر القدم ، أما الوجه والكفان ظاهرا وباطنا فهما ليستا من العورة مطلقا .

فمن صلى مكشوف العورة المغلظة كلها أو بعضها ولو قليلا بطلت صلاته وأعادها وجوبا .

أما العورة المخففة فإن كشفها كلا أو بعضا لا يبطل الصلاة وإن كان كشفها حراما أو مكروها فى الصلاة ويحرم النظر إليها ، ولكن يستحب لمن صلى مكشوف العورة المخففة أن يعيد الصلاة فى الوقت مستورا .

ويشترط فيما يستر العورة من ثوب ونحوه أن يكون كثيفا فلا

يجزىء الساتر الرقيق الذى يصف لون البشرة التى تحته ولا يضر التصاقه بالعورة بحيث يحدد جرمها ، ومن فقد ما يستر به عورته صلى عريانا وصحت صلاته[1] .

ستر العورة خارج الصلاة

يجب على المكلّف ستر عورته خارج الصلاة عن نفسه وعن غيره ممن لا يحل له النظر إلى عورته إلا لضرورة كالتداوى فإنه يجوز له كشفها بقدر الضرورة ، كما يجوز له كشف العورة للاستنجاء والاغتسال وقضاء الحاجة ونحو ذلك ، إذا كان فى خلوة بحيث لا يراها غيره ، وحد العورة من المرأة الحرة خارج الصلاة هو ما بين السرة والركبة ، إذا كانت فى خلوة أو فى حضرة محارمها ، أو فى حضرة نساء مسلمات ، فيحل لها كشف ما عدا ذلك من بدنها بحضرة هؤلاء أو فى الخلوة .

أما إذا كانت بحضرة رجل أجنبى أو امرأة غير مسلمة فعورتها جمع بدنها ما عدا الوجه والكفين فإنهما ليسا بعورة فيحل النظر لهما عند أمن الفتنة .

ويحرم النظر إلى عورة الرجل والمرأة متصلة ومنفصلة ، وصوت المرأة ليس بعورة لأن نساء النبى ﷺ كن يكلمن الصحابة وكانوا يستمعون منهن أحكام الدين ، ولكن يحرم سماع صوتها إن خيفت الفتنة ولو بتلاوة القرآن ، وكل ما حرم النظر إليه حرم لمسه بلا حائل ولو بدون شهوة[2] .

---

(١) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، قسم العبادات ١/ ١٤٠

(٢) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ١/ ١٤٢ .

سابعا : تعليق عام

المرأة المسلمة فى المجتمع الحديث تتعرض لتيارات متعددة ، منها المتشدد الذى يرغب فى انقطاعها عن التعليم ، وبعدها عن المجتمعات ، والتزام النقاب إذا خرجت ، واعتبار صوتها عورة .. كما ترى بعينها أن بعض النساء المسلمات يقلدن المرأة الغربية فى زيها وسلوكها وسائر صفاتها وتصرفاتها .. وربما وقعت فريسة التردد والحيرة بين ما تسمع وما ترى .. وما تشاهد من غلو أو تفريط ..

ومن الكتاب المعتدلين الأستاذ محمد عزة دروزة ، وله انتاج ضخم فى السيرة النبوية وتفسير القرآن وما يتصل بالإسلاميات ، وهو معمر معاصر قد بارك الله فى عمره ، وهو مجتهد يخطىء ويصيب والمجتهد إذا أخطأ له أجر الاجتهاد وإذا أصاب له أجران أجر الاجتهاد وأجر الاهتداء إلى الصواب .

يقول الأستاذ محمد عزة دروزة :

« ليس فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ما يمنع دخول الرجال على النساء والنساء على الرجال بعد الاستئذان والإذن ، وفى حالة الاحتشام البعيدة عن دواعى الفتنة والريبة والإغراء . وليس فيها ما يمنع اجتماع الرجال بالنساء والنساء بالرجال على تلك الحالة . وليس فيها ما يمنع خروج المرأة سافرة الوجه واليدين من بيتها لقضاء حاجاتها وممارسة شئونها على اختلاف أنواعها مما يدخل فى تلقى العلم وغشيان المدارس والمساجد وشهود الاجتماعات العامة والاتجار والتكسب والعمل والمشاركة فى الأعمال والواجبات الرسمية وغير الرسمية والاستمتاع بنعم الطبيعة والمباحات وهو ما قرره لها القرآن

والسنة حين قررا لهـا الأهلية السياسيـة والشخصية والحقـوقية والاقتصادية والاجـتماعية والمشاركـة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعـوة إلى الخيـر وتبادل الولاء مع الرجـال والتكافل والتضـامن وخاطبـاها بكل ما خـاطبا به الرجل من تفكر وتـعقل وتدبر فى كـتـاب الله وآياته وكلفـاها بكل مـا كلفـا به الرجل من واجبات وتكاليف إيمـانية وتعيدية واقتـصادية وسياسيـة وعقلية واجتماعية وشـخصيـة ورتبا لها وعليها كل ما رتباه للرجل وعليه من النتائج الدنيـوية والأخروية على قـدم المساواة . على أن يكون ذلك فى نطاق الآداب والتلقينات القرآنيـة والنبوية التى تسمح لها بكـل أسلوب فـى ذلك يأتـلف مـع الحق والخلـق الكريـم والذوق السليم والعفة والطهارة والبعد عـن الريبة والفتنة وأسبابها والتى كلما تشدد علـيه هو عدم تبذّلها وتهـتكها وابداء مفاتنهـا وزينتها وكشف صدرها ونـحرها وظهرها وأكتافـها وسوقهـا والخفة فى الظهـور أمـام الناس بدون ضـرورة ومـصلحـة ويدخل فى ذلك غشـيان الأمـاكن العامـة غير البـريئة من مـراقص وملاه ومـقاه ومـلاعب وأندية ومسـابح وتعـاطى المحـرمات والمغـريات فـيهـا والاختـلاط فيها مع الرجـال والخلوة مع غير المحـارم فى حالات وظروف مريبة مما فيه تورط فى الفـتنة وإغراء بها وتشـجيع على الإثم ودعـوة إلى سوء القـالة وشيـوع الفاحـشة ثم التـزام نطاق وظيفـتهـا الطبيعـية الرئيـسية وهى البـيت والأمومـة فى الدرجة الأولى وجعل الأمور الخارجـية الأخرى بعد ذلك ، مما لا يمكن أن ينكر مـا فيـه من حكمـة وصواب من قـبل أى عـاقل منصف من المسلمين وغير المسلمين .

وما يحدث كل يوم فى بلاد الغرب ومـا أخذ يحدث فى الشرق

العربى والإسـلامى من مآس وفـواجع وشرور وآثام وانفـعالات تؤدى إلى مـحـرج المواقف وإزهاق الأرواح . وهتك الأعـراض وانهدام كيـان الأسر من جراء التبرج والتبـذل والاختلاط الواسع المريب المنـكر . ومـا نتـج وأخـذ ينـتج عن هذا من إهمـال المرأة لواجبـات البيت والأسرة ومـشاركتـها بل مـزاحمتـها للرجل فى ميدانه الطبيعى بغيـر ضرورة . وما أخذ يتبع هذا من نشوز المرأة ورغبـتهـا عن الحيـاة الزوجيـة ومن المحتمـل من القيم الروحـية والأخلاقية والاجتماعية والعـائلية بحيث صار الأمر فوضى أليمة تنذر بأوخم العـواقب والفواجع باسم الحـرية والوجودية شـاهد صادق على الحـكمة السامـية الخـالدة التى تضمنتـها تلك الآداب والمبادىء والتلقينات .

ولقد اشتد كل هذا فى السنين الأخيرة حتى صار تيارا كاسحا مرعـبا بسـبب ما اتسع من نطاق السـينما والتليـفزيون والراديو والرقص والسكر والروايات والمجـلات الغراميـة الخليعـة وأماكن اللهو غيـر البريئة ، حيث صار الأمـر يتطلب العلاج الزاجر الواقى الشديد .

وليس من ريب فى أن التعـاليم القرآنية والنبـوية تهيىء لأولى الأمر فى الدولة وسيلة عقيدية لتنظيم الأمر وجعله فى دائرة الحق والمنطق والآداب من جهة ، ولضمان تمتع المرأة بحريتـها وحقوقها وتعليمها ومشاركـتها فى مختلف الشئون السياسيـة والاجتماعية فى النطاق المرسوم من جـهة ؛ ومواجهـة وصد التيارات الغـربية الجارفة الهدامة التى تهدد المجتمع الإسلامى من جهة .

ويورد بعضـهم جملة ﴿ **وقرن فى بيـوتكن** ﴾ فى آية سورة الأحزاب ٣٣ للتدليـل على أن النساء مأمورات بالقـرار فى البيوت

دون الخروج والنشاط خارج البيوت .. والجملة من آيات خوطب بها نساء النبى ﷺ وهى : ﴿ **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا** ﴾ [الأحزاب : ٣٢-٣٤] .

ولقد أوّل بعضهم الجملة بمعنى (إلزمن الوقار والسكينة فى بيوتكن) وأولها بعضهم بمعنى (امكثن فى بيوتكن) وقد يكون التأويل الثانى أكثر ورودا مع التنبيه أنه لا يمكن أن تكون الجملة عنت النهى عن الخروج بالمرة وإنما هدفت إلى النهى عن الإكثار من الخروج على غير ضرورة . فهناك حاجات وضرورات ملزمة للخروج .

والروايات متواترة على أن نساء النبى ﷺ كن يخرجن فى الحاجات والضرورات فى حياة النبى وبعده .. ولقد روى الشيخان عن عائشة حديثا جاء فيه: خرجت سودة لحاجتها بعد أن نزل الحجاب وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر فقال يا سودة أما والله لا تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين، فانكفأت راجعة ورسول الله فى بيتى يتعشى وبيده عرق (أى لبن) فدخلت فقالت : يا رسول الله خرجت لبعض حاجتى فقال عمر كذا فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق فى يده ما وضعه فقال « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » .

ومهما يكن من أمر فالآيات صريحة بأنها موجهة إلى نساء النبى

بخاصة وقد احتوت تعليلا لما فيها من أوامر وتنبيهات .

ومن الجدير بالذكر أن حكمة التنزيل حينما اقتضت أن تخاطب جميع النساء بأمر يخصهن جميعا فى آية الأحزاب هذه قالت : **﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾** ، حيث يفيد هذا أيضا أن الآيات التى جاءت فيها الجملة هى خاصة بنساء النبى ﷺ .

ولقد أورد ابن كثير فى سياق الجملة حديثا رواه البزاز عن أنس جاء فيه : « جئن النساء إلى رسول الله فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين فقال من قعدت - أو كلمة نحوها - منكن فى بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله » .

وحديثا ثانيا رواه كذلك البزاز عن عبد الله قال : « قال النبى ﷺ إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهى فى قعر بيتها » ، والحديثان لم يردا فى كتب الأحاديث المعتبرة ، وفى روايتهما علل . والآية ١٩٥ من سورة آل عمران وهى **﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .. ﴾** قد جمعت الرجال والنساء معا فى الهجرة والقتال فى سبيل الله .

وهناك أحاديث وردت فى الكتب الخمسة تذكر أن المؤمنات كن يخرجن مع رسول الله وغيره للجهاد .. من ذلك حديث رواه مسلم

وأبو داود والترمذى عن أنس قال : « كان رسول الله يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه فيسقين الماء ويداوين الجرحى » .

وحديث رواه الشيخان عن أنس قال : « لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى وقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم مشمرتين أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم » .

وحديث رواه البخارى جاء فيه : « قالت الربيع بنت مُعوِّذ كنا نغزو مع النبى فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة » .

وحديث رواه مسلم جاء فيه : « قالت أم عطية غزوت مع النبى سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى » .

ويضاف إلى هذه السنة التى لم تنقطع فى تردد النساء على المساجد واشتراكهن بصلاة الجماعة مع الرجال . وليس هناك حديث وثيق فيما اطلعنا عليه يمنع خروج المرأة للجهاد والصلاة وجميع الأمور الأخرى التى تقتضيها طبائع الحياة وما وهب الله المرأة من مواهب وما أقره لها كتاب الله وسنة رسوله من حقوق سياسية واجتماعية واقتصادية وما يساعدها على القيام بمختلف الواجبات التى أوجباها عليها ، بحيث يسوغ التوقف إزاء الحديثين أو حملهما إذا صحا على محمل التحذير والتنبيه بسبيل اتقاء الفتنة ودواعيها .

ويورد بعضهم حديثا رواه الشيخان عن النبى ﷺ قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم » .

وليس فى الحديث نقض لما قررناه بل تأييد من حيث إنه يسمح للمرأة بالخروج لوحدها والاجتماع بالرجال فى نطاق مدينتها وعملها . وكل ما فيه أنه يمنعها من السفر البعيد بدون محرم وروحه تلهم أنه بسبيل صيانتها وحمايتها وتجنيبها الفتنة والعدوان والتزامه واجب فى الظروف والحالات التى يغلب فيها الظن بذلك .

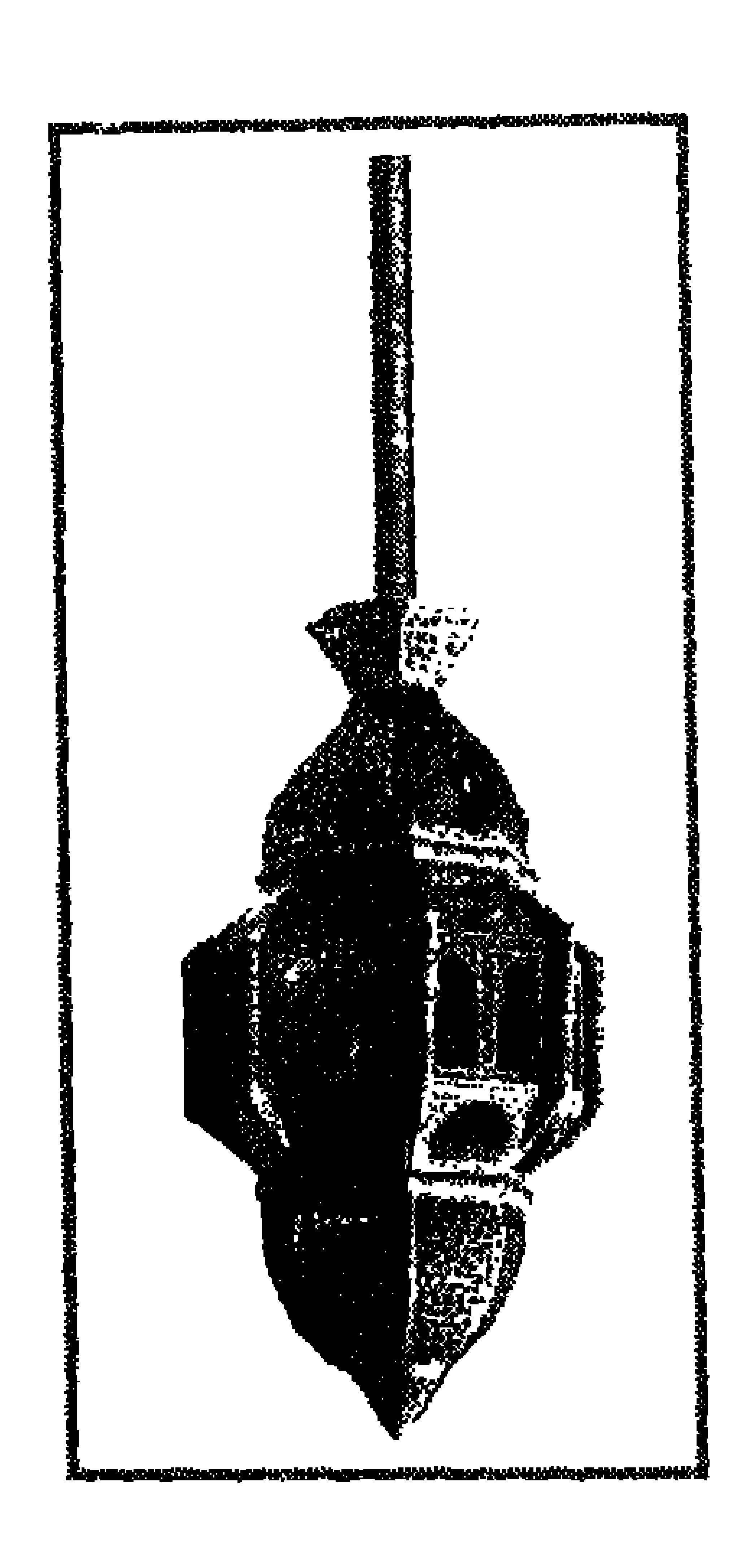
وهناك حديث رواه البخارى وأبو داود عن ابن عباس قال : « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات بالرجال من النساء » .

وحديث رواه النسائى والإمام أحمد عن عبد الله بن عمر « قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال ، والديوث » . ولسنا نرى فى هذه الأحاديث نقضا لما نقرره لأننا لسنا قائلين بأن تضيع المرأة معالم أنوثتها وطبيعتها وتتشبه فى أطوارها وحركاتها بالرجال تشبها يذهب بتلك المعالم أو يعطلها . وما نراه يصح ويسوغ للمرأة المسلمة عمله ، إنما يصح ويكون له معناه فى حالة احتفاظها بهذه المعالم الطبيعية وما إلى ذلك .

وهناك أحاديث أخرى يصح أن تورد ويعلق عليها للمناسبة .

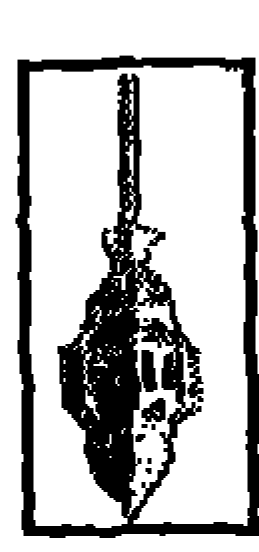
منها حديث رواه الشيخان عن النبى ﷺ فيه : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » . وحديث رواه مسلم عن النبى جاء فيه : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر ماذا تفعلون . فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت النساء » . والمتبادر لنا أن الأحاديث بسبيل التنبيه على ما يمكن أن يكون من الافتتان الجنسى بالمرأة والتحذير منه . إنما يكون فى حالة استهتار المرأة فى بروزها وتزينها وحركاتها واندفاعها فى اللهو واندفاع الرجال فى الغواية . وهو ما نبهنا على وجوب تجنبه ، والله أعلم والحمد لله رب العالمين »[1] .

(١) المرأة فى القرآن والسنة ، للأستاذ محمد عزة دروزة ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٨ .





خاتمة



فى نهـاية هذا الكتاب اذكّـر القاريء الكريم بفـضل هذا الشـهر العظيم ، وأدعوه أن ينتـهز هذه الفرصـة ؛ وأن يغتنم فضل هذا الشـهر المبـارك ، الذى ضاعف الله فيـه الثواب ، وفتح فيه أبواب الجنان .

أى فتح أبواب الرحمة ، والقبول للتائبين .

فمن وجد الله وجد كلّ شـيء ، ومن فقد الله فقد كل شـيء .

أيها المؤمن :

اشتـغل بتلاوة القرآن الكريم ، ودراستـه وتفسيره ؛ واشـتغل بذكر الله تعـالى ومراقبـته ؛ واحتـرام أوامره ؛ واجـتناب نواهيه ، والمحافظة على حدود الصيام وغضّ البـصر ، وإمساك اللسان عن الغيبة والنـميمة ؛ وقيام الليل ، وتحرّى ليـلة القدر ، وإخراج زكاة الفطر ؛ وعبـادة الله تعالى عبـادة خالصة ؛ فى تقـرب واخلاص ؛ وتضـرّع وإنابة ، وبـذلك تفتح أبواب الحبّ والرضـا ؛ والقرب من الله تعالى .

روى البخارى فى صـحيحه أن رسـول الله ﷺ قال : يقول الله عز وجل :

« ما تقـرب إلىّ عبدى بشيء ، أحبَّ إلى من أداء مـا افترضـته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته؛

كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ؛ ورجله التى يمشى عليها ، ولئن دعانى لأجيبنّه ، ولئن سألنى لأعطينّه » .

أيها المؤمن :

تعرض لنفحات السماء ، وفيوضات الخير ، وإشراق التوفيق ، وتشبث بباب الله ؛ داعيا وراجيا وتائبا ومنيبا .

قال ﷺ :

« إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » .

وشهر رمضان حافل بالنفحات ، عند الإفطار ،وعند السحور ؛ وعند السَّحر ، وعند صلاة الفجر ، وعند صلاة العصر ، وغيرها ، أدم صحبة المصحف ، وعمل الخير ؛ وصلة الرحم ، ومساعدة الضعفاء ؛ وإخراج زكاة المال ؛ أو زكاة التجارة ؛ فمن أدَّى فى رمضان فريضة ؛ كان كمن أدّى فيما سواه سبعين فريضة ؛ والله ولى التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهـــرس

رقم الإيداع ١٦٧٦٩/ ٩٩
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0887 - 3

هذا الكتاب

الدكتور عبد الله شحاته من علماء الدين الإسلامى البارزين .. ومن أكثرهم دقة فى البحث والدراسة قبل أن يقول رأيه أو يفتى فى موضوع .. كما أنه يتميز بأنه عالم متفتح العقل والتفكير بعيدا عن التزمت يؤمن بأن القرآن نزل لكل العصور وليس عصر واحد فقط .. كما أن الدين يحث على الاجتهاد وإعمال الفكر .

ومن هذا المنطلق يشرح لنا فضيلة الدكتور عبد الله شحاته أحكام الصيام فى شهر رمضان .. من قراءة القرآن .. والإكثار من الصدقة .. وإمساك عن الغيبة والنميمة .. ومجاهدة النفس وإخلاص النية .. والصبر والمصابرة .. وصدق الإيمان .. وهو يعتبر رمضان مدرسة الثلاثين يوما يدرس فيها الإيمان للنفوس .

وبنفس المفهوم العصرى يحدد لنا الدكتور عبد الله شحاته آداب السلوك بين الرجال والنساء .. حتى يسود فى المجتمع الأخلاق والآداب الإسلامية .

نبيل أباظ



الثمن ٥ جنيهات

طبع بمطابع أخبار اليوم